

المقابر

اليمن وسكانها

- ٢ -

نسب اليمنيين وتفرقهم

لا خلاف في أن عرب اليمن من بني قحطان ويعدون من العرب العاربة وأكثر قبائل العرب من اليمن كما قال النخعي فمنهم السكون وخولان والأزد ومازن بن الأزد وميدعان بن الأزد ومارد بن سلامان ومنهم آل العنقاء والفراheid وقساحل وبلادس وثهلان وحرحنة وبطون كثيرة قد دونت في كتب الأنساب حتى ما تسقط قبيلة ولا فخذ ولا رهط ولا بطن وأصل منوك غسان بالشام من عرب اليمن.

قالوا ربما أغار اليمنيون على البلدان فيرجعون إلى بلادهم. واليمن قبائل كثيرة إذا دخلت فيهم قضاة وجذام ولحم وبجينة وختمهم كان أول من ذكر اسمه وعرف قدره سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن ولده كهلان بن سبأ وحير بن سبأ وقضاة من قبائل حير تفرقت بعض هذه القبائل في البلاد فزلت أزد شنوءة أرض الشراة وما حولها في الشام وسارت غسان إلى الشام حتى نزلت بأرض البلقاء وتنصروا وأقاموا

منكين بالشام من قبل صاحب الروم وسار من ولد حوالة بن الهو بن الأزدي إلى الموصل
وقدم مالك بن فهم بن غنم بن دوس حتى نزل أرض العراق فأنشأ ملكاً بالحيرة.
قال بعض آل أسعد بن منكرب (كنيكرب؟) تبع ذاكرة منازل من خرج من اليمن
في سائر جزيرة العرب وغيرها :

وقد فراقنا منا منوك بلادها ... فصاروا بأرض ذات مبدى ومحضر
وقد نزلت منا خزاعة منزلاً ... كريماً لدى البيت العتيق المستر
وفي يثرب منا قبائل إن دعوا ... أتوا سرباً من دارعين وحمر
هم طردوا عنها اليهود فأصبحوا ... على معزل منها بساحة خير
وعسان حيّ فعزهم في سيفهم ... كرام المساعي قد حووا أرض قيصر
وقد نزلت منا قضاة منزلاً ... بعيداً فأمست في بلاد الصنوبر
وكذب لها ما بين رمنة عالج ... إلى الحرة الرجلاء من أرض تدمر
ولحم فكانت بالعراق منوكها ... وقد طحرت عدنان في كل مطهر
وحنت جذام حيث حنت وشاركت ... هنالك لحناً في العلا والتجبر
وأزد لها البحرين والسيف كنه ... وأرض عمان بعد أرض المشقر
ومنا بأرض العرب جند تعلقوا ... إلى بربر حتى أتوا أرض بربر

هكذا ذكروا تفرق أهل اليمن وأصولهم أما مدنيهم التي جنوها فقد أكد أحد علماء
الأثار أن اليمن مبقت بتدنها بابل ومصر ومنها هاجر أجداد الفراعنة ومنها كان
أجداد البابليين والآشوريين وإلى مصر وبابل وآشور حمل اليمنيون الصناعات والعلوم
والتجارة وتوغل بعضهم حتى استلبط بعض اليمنيين أو الحنيريين هم الذين مدنوا
شواطئ آسيا وأفريقية وأوروبا وقالوا أنهم كانوا أميل إلى التجارة لا إلى الغزو والغارة

ولذلك كان معظم الأذواء يتجرون فإذا كانت لرجل منهم مطامع في السيادة تغلب على البلاد.

والأذواء كثيرون منهم ذو الجناح وذو المنار وذو رعين وذو نواس وذو مجن وذو الكلاع سيف بن ذي يزن وقد استولى الحبشة بعد ذي نواس على اليمن فلم يدعوا رجلاً إلا قتلوه ولا بناء إلا هدموه ورئيسهم أبرهة الأشرم فخرّبوا المدن والخراب من عهدهم بدأ في الغالب ومنك الفرس اليمن إلى عهد الإسلام وكان أراد كسرى أنوشروان على فتحها ابن ذي يزن يستجده ويسعده على السودان وامتدحه بالخبيرية فأعجب كسرى بقصيدته لما ترجمت.

ومن الأذواء عنس ذو جدن كان كما في الأغاني منكاً من ملوك حمير ولقب ذا جدن لحسن صوته والجدن الصوت بنخهم ويقال أنه أول من تغنى باليمن. روى أنهم حفروا حفراً في زمن مروان فوقفوا على أزج له باب فإذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب وعصاة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه أنا عنس ذو جدن القبل لحنيني مني النيل ولعلوي مني الويل طليت فأدركت وأنا ابن مئة سنة من عري وكانت الوحش تأذن لصوتي وهذا سيفي ذو الكف عندي ودرعي ذات الفروج ورمحي الهزيري وقومي الفجواء وقرني ذات الشر فيها ثلاث مائة حشر من صنعة ذي ثمر أعددت ذلك لدفع الموت عني فخانني قال الراوي فنظرنا فإذا جميع ذلك عنده.

ولما سار حسان بن تبيان أسعد أبو كرب بأهل اليمن يريد أن يطالبهم أرض العرب وأرض العجم كما كانت التبابعة قبله تفعل حتى إذا كان ببعض أرض العراق على رواية الطبري كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم

فكنسوا أخاه أن يقتله ليخلفوه عليهم فقتله ومرج أمر حمير عند ذلك تفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الممنكة منهم يقال لحيعة ينوف ذو شنانتر فنكهم وقتل خيارهم وعبث بيوت أهل الممنكة فقال قاتل من حمير يذكر ما ضيعت حمير في أمرها وفرقت جماعتها ونفت من خيارها

تقتل ابنائها وتنفي سراقها ... وتبني بأيديهم لها الذل حمير

تدمر دينها بطيش حلومها ... وما ضيعت من دينها فهو أكثر

كذلك القرون قبل ذاك بظلمها ... وإسرافها تأتي الشرور فتخسر

ثم تمودت حمير وكان بنجران بقايا من أهل دين عيسى عني الإنجيل أهل فضل واستقامة لهم من أهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن تامر وكان موقع أصل ذلك الين بنجران وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ثم أن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين وقع بين أظهرهم يقال له فيسيون فحنهم عليه فدانوا به قال هشام زرعة ذو نواس فلما تمود سمي يوسف وهو الذي خد الأخدود بنجران وقتل النصاري وكانوا قريباً من عشرين ألفاً أفلت منهم رجل وقدم على ملك الحبشة فأعلمه ما ركبوا به وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النار بعضه فأنجده برجال كما بعث إلى قيصر أن ينجده بالسفن والأخدود هو المذكور في القرآن قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود فجاء جيش النجاشي ورأسه أرياط فقتل ثلث الين وأحرب ثلث بلادها وبعث إلى النجاشي بثلث سبائهما وقد أحرب مع ما أحرب من أرض الين سحنين وبنون وعندان حصوناً لم يكن في الناس مثلهما فقال:

هونك ليس يرد اللمع ما فاتا ... لا هلكي أسفاً في ذكر ماتا

أبعد بينون لا عين ولا أثر ... وبعد سحنين بيني الناس أبياتاً

وقد ساق أبو الفرج الأصفهاني كيفية مقتل حسان بن تبع على يد عمرو أخيه وكيف
تشتت أمر حمير حين قتل أشرافها والتفت عليه حتى وثب على عمرو خيعة تنوف ولم
يكن من أهل بيت المسكة فقتله واستولى على منكه وكان يقال له ذو شتر الحميري
وكيف نشأ زرعة ذو نواس وكانت له ذؤابة وبه سمي ذا نواس وهو الذي هود وتسمى
يوسف كما مر وهو صاحب الأخدود بنجران وكانوا نصارى فخوفهم وحرق الإنجيل
وهدم الكنائس ومن أجند غزت الحبشة اليمن لأهم نصارى كما ساق كيفية خروج
سيف بن ذي يزن إلى كسرى يستجده على الحبشة بسبب غزو ذي نواس أهل نجران
وكانوا نصارى فحصرهم ثم ظفر بهم فحدد لهم الأخاديد وعرضهم على اليهودية
فامتنعوا من ذلك فحرقهم بالنار وحرق الإنجيل وهدم بيعتهم.

ملوك اليمن وعمرهم

قال ابن حوقل: كانت اليمن عظيمة خطيرة الملوك فمنهم من ملك أكثر الأرض في
سالف الزمن كتبع الذي مدن مدينة صنعاء وسمرقند وكان يقيم بهذه حولاً وهذه آخر
ولم يكن فيما سلف من الزمان ومرر الدهور والأيام من علت كلمته واتسعت مملكته
واستفحلت جبايته كفرعون وذي القرنين وتبع من ثبت الملك فيه وفي عقبه فأما أموالها
في وقتنا (القرن الرابع) الواصلة إلى سلاطينها وملوكها وأربابها وأصحاب أطرافها فمن
جلتها أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم بن زيادة بعد أهل البحرين كانوا بمواليها والذي
تحت يده فمن الشرجة إلى عدن طولاً على ساحل البحر وأرض قنامة اليمن ويكون
مقدار ذلك اثني عشرة مرحلة وعرضه من الجبال إلى ساح اليمن من عمل غلافقه
ويكون مقداره مسيرة أربع مراحل وأكثر أمواله المقبوضة من العثور وهي ما ينيف على
خمس مائة دينار عخرية ومن قبالات زبيد من جميع ما يدخلها ويخرج عنها وتشمل عليه

من وجوه الأموال مائتا ألف دينار عثرية وأكثر منوك الجبال يخطبون له على منابرهم في وقتنا هذا ويصل إليه من جباية عدن على المراكب العثرية مما لا يقع بموافقة ولا ضمان ويعمل بالأمانات لربما زادت المراكب ونقصت وقد يرتفع له في السنة عن هذا المكان مائتا ألف دينار عثرية زائداً أو ناقصاً ويؤخذ العنبر بسواحل عدن وما ينيها وله على ذلك ضريبة تصل إليه على صاحب جزائر هلك موافقة من هدايا ترد عليه فيها عبيد وعنبر وغير ذلك ومنكة الحبشة قناديه ولا تقطع ميرته ومواصلته ويتلوه في المكنة والمقدرة ابن طرف صاحب عثر ومنكة يشتمل على وجوه من الأموال وضروب من الجبايات ويكون الواصل إليها كصف الواصل إلى أبي الجيش من المال ويتلوه الخزامي صاحب حني وهو دون ابن طرف في المكنة والسلطان والجباية. وهؤلاء الثلاثة منوك قهامة اليمن وابن طرف والخزامي جميعاً في طاعة ابن زياد في وقتنا هذا ويخطبون على اسمه.

ومنوك قهامة اليمن المعروفون بمنوك الجبال كثيرة واجلهم ولد أسعد بن أبي يعفر وهو على الحجة هو ملك صنعاء يخطب لأبي الجيش ويضرب دراهمه على اسمه وليس ينفذ إليه ميرة ولا هدية وجميع وجوه أمواله أربعمئة ألف دينار فتصرف في مروتته وإلى أعيافه وقاصديه وهو من سلالة التبابعة ومن بالجبال من ملوكها فجبايته دون هذه العدة من المال ومرافقه بقدر كفايته.

وأما الحسيني صاحب صعدة فلله جباية كثيرة ومستغلات من المدايع وضرائب من القوافل كثيرة تضاهي ارتفاع ابن طرف وربما زادت ونقصت وصاحب السرين فيما يصل إليه قوم به وبأهله ولميت بحال تذكر وله على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد مع التجار.

إليك منوك اليمن في القرن الرابع وما كانوا يتقاضونه من وجوه الارتفاعات مما تستدل منه على ثروة اليمن الغريب واتساع أقاليمها ومخاليفها وكثرة قراها ومزارعها وقد وصف ابن حوقل أيضاً المسافات بين بلادها فقال: وأما هامة فإنها قطعة من اليمن جبال مشبكة أولها مشرف على بحر القنزم (الأحمر) مما يلي غربيتها وشرقيها بناحية صعدة وجرش ونجران وشماليها حدود مكة وجنوبها من صنعاء على نحو عشر مراحل وبلاد حولان تشتمل على قرى ومزارع ومياه معصورة بأهلها وهي مفترشة وبها أصناف من قبائل اليمن ونجران وجرش مدينتان متقاربان في الكبر هما نخيل ويشتملان على أحياء من اليمن كثيرة وصعدة أكبر وأعظم منهما ويتخذ بها ما كان يتخذ بها ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم ويتخذ بنجران وجرش والطائف أدم كثير وأكثره من صعدة وبها كان يجمع التجار وليس باليمن جميعاً بندا أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً من صنعاء وهو بند في خط الاستواء وهو من اعتدال الهواء بحيث لا يتحول الإنسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفاً وتشارب ساعات الصيف والشتاء والجذام به ظاهر لقلة سطوة الشمس به وفيه كانت تسكن منوك اليمن فينا تقدم وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل كبير يعرف ببغدان وكان قصراً للملوك اليمن وليس باليمن بناء أرفع منه.

والمذخرة جبل أعلاه نحو عشرين فرسخاً فيها مزارع ومياه وفيه ينبت الثورث وهو نبات

أحمر في معنى الزعفران يصع فيه ولا يسلك إلا من طريق واحدة. وشبام جبل منيع جداً فيه قرى ومزارع وسكان كثيرة وفيه جامع ويرتفع منه الجست والعقيق والجزع حجارة تعمل فإذا عملت ظهر جوهرها لأن وجوه هذه الحجارة مغطاة وبنغني أنها

تكون في صحاري فيها حصى منون تلتقط من بينها. وعدن مدينة صغيرة وشهرها لأنها
 فرضة على البحر يزلها الساترون في البحر وبالين مدن أكبر منها ليست كشهريها.
 وبلاد الإياضية بقرب حمدان وخولان وحيوان وهي أعبر بلاد بتلك النواحي مخالف
 ومزارع وأغزرها مياهاً. قال وبأرض سبأ من اليمن طوائف من حمير وبحضر موت أيضاً
 وأما ديار حمدان وأشعر وكندة وخولان فإنها مفترشة في أعراض اليمن وفي أصفافها
 مخالف وزروع وبها بوايد وقرى تشتل على قمامة وبعض نجد ونجد اليمن غير نجد
 الحجاز غير أن جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن وبين النجدتين وعدنان برية
 متعنة قال وبالين قروود كثيرة بلغني أنها تكثر حتى أنها لا تطاق إلا بجمع كثير وإذا
 اجتمعوا كان لهم كبير يعظونهم ويتبعونه كاليعسوب للنمل وبها دابة تسمى العدار
 بلغني أنها تطلب الإنسان فتقع عليه فإذا أصابت منه تلك الدابة جرحاً تدود جوف
 الإنسان فانشق ويحكى عن بعض الغيلان بها ما لا أستجيز حكايته لأن النكر لمن لا
 يعلم أعذر من المقر بما يجهل.

وذكر ياقوت أن المذبحرة قلعة حصينة في رأس جبل صبر وفيها عين في رأس الجبل يصير
 منها نهر يستقي عدة قرى باليمن وهي قريبة من عدن يسكنها آل ذي مناخ وبها كان
 منزل أبي جعفر المناخي من حمير. قال عنارة اليمني: المذبحرة من أعمال صنعاء أن أعلاه
 نحو عشرين فرسخاً فيه المزارع والمياه ونبت الورث وفي شفيره الزعفران ولا يسلك إلا
 من طريق واحد وهو في مخالف السحول ولما منك الزيايدي اليمن واخط زبيد وحج
 من اليمن جعفر مولى زياد بمال وهدايا سنة ٢٠٥ وسار إلى العراق وصادف المأمون
 بها وعاد جعفر هذا سنة ٢٠٦ إلى زيد ومعه ألف فارس فيها مسودة خراسان سبعة
 فعظم أمر ابن زياد وتقلد إقليم اليمن بأسره الجبال والتهاتم وتقلد جعفر هذا الجبل

واختط به مدينة يقال لها المنحجرة ذات اقدار ورياض واسعة والبلاد التي كانت لجعفر تسمى اليوم (القرن السادس) مخلاف جعفر والمخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع وكان جعفر هذا من الدهاة الكفاة وبه تمت دولة بني زياد ولذلك يقولون ابن زياد وجعفر.

وذكر ياقوت في شام أنه جبل عظيم فيه شجر وعيون وشرب صنعاء منه وبينه يوم وليلة وهو جبل صعب المرتقى ليس إليه إلا طريق واحد وفيه غيران وكهوف عظيمة جداً ويسكنه ولد يعفر ونه فيه حصون عجيبة هائلة وذروته واسعة فيها ضياع كثيرة وكروم ونخيل والطريق إلى تلك الضياع على دار الملك وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك فمن أراد النزول إلى السهل في حاجه دخل على الملك فأعلمه ذلك فيأمر بفتح الباب وحول الضياع والكروم جبال شاهقة لا مسكن فيها ولا يعلم أحد ما ورائها ومياه هذا الجبل تصب إلى سد هناك فإذا امتلأ السد ما أن فتح فيجري إلى صنعاء ومخالفها وبينه وبين صنعاء ثمانية فراسخ. قال عمارة اليمني في تاريخه وكان حسين ابن أبي سلامة وهو عبد نوبي وزرلابي الحيشي بن زياد صاحب اليمن أنشأ الجوامع الكبار والمنائر الطوال من حضر موت إلى مكة وطول المسافة التي بني فيها ستون يوماً وحفر الآبار الروية والقلب العادية فأولها شام وتريم مدينة حضر موت واتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن والمسافة عشرون مرحلة في كل مرحلة منها جامع ومشدنة وبئر ويقي مستولياً على اليمن ثلاثين سنة ومات سنة ٤٣٢ وذكر له فضائل وجوامع في كل بلدة من اليمن.

وذكر أبو القدا من بلاد اليمن حصن تعز فقال هي في زماننا مقر ملوك اليمن وهي حصن في الجبال مطل على التهائم وأراضي زبيد وفوق تعز منتره يقال له صهنة قد

ساق صاحب اليمن المياه من الجبال التي فوقها وبني فيها أبنية عظيمة في غاية الحسن في وسط بستان هناك. وذكر حصن الدمنوة وقال أنها خزانة صاحب اليمن قال ابن سعيد وهي على الجبل المتد من الجنوب إلى الشمال ويضرب بامتناعها وحصانتها المثل في شمالها تقع الجوة وهي بنيدة مشهورة في جادة طريق الجبال وذكر الشرجة وجبنة وهذه بين عدن وصنعاء والجند شمالي تعز وذمار وحلى وظفار ونجران وعدن أبين وصنعاء وصعدة وبلاد خيوان وجرش (غير جرش سورية) ومأرب يقال لها سبأ وشبام وقبة حضر موت ومرباط.

وفي أحسن التقاسيم أن ولايات هذا الإقليم متقطعة فاليمن لآل زياد وأصلهم من هندوان وابن طرف لع عشر وعلى صنعاء أمير غير أن ابن زياد يحمل إليه الأموال ليخطب إليه وربما أخرجت عدن عن أيديهم وآل قحطان في الجبال وهم أقدم منوك اليمن والعنوية على صعدة يحيطون لآل زياد وهم أعدل الناس وعمان للديلم وهجر للقرامطة وعلى الأحقاف أمير منهم قال وصاحب صعدة لا يأخذ ضريبة من أحد وإنما يأخذ ربع العشر من التجار.

في القرن السادس كان صاحب اليمن المنك المجاهد سيف الدين عني ابن المنك المؤيد هزير الدين داوود من بيت رسول وكان جد هم هذا رسول أميراً آخر للمنك الكامل ناصر الدين محمد عادل أبي بكر بن أيوب فلما بعث المنك الكامل ولده المسعود أظسن وهو الذي تسميه العامة أقيس بعث معه أميراً آخر في جبهة من بعوثه معه ثم تغلبت الأحوال حتى استقل رسول بمنك اليمن وصار المنك من عقبه.

عجائب اليمن

ذكر الهنداني منها باب عدن وهو شصر مقطوع في جبل كان محيطاً بموضع عدن من الساحل فلم يكن لها طريق إلى البر إلا للمرجل لمن ركب ظهر الجبل فقطع في الجبل باب مبنغ عرض الجبل حتى سنكه الدواب والحمايل والحامل والجفان. وقطع بينون جبل قطعه بعض ملوك حمير حتى خرج فيه سيلان وراءه إلى أرض بينون. وقلعة الجوة لأبي المغنس في أرض المعافر هي تطلع بسلم فإذا قنع لم تطلع. ومنها جبل تخنى وهو جبل واسع الرأس ذو عرقة مطيفة به تنزل الوبر والقرود وتحت العرقة عرقة وفي مواضع منه عرق مترادفة وليس تعم جميعه إلا العرقة العليا والتي تحتها ورأسه واسع جداً فيه ثلاث قلاع حصون فأولها بيت فائس وهو من أرفع ما فيه وفيها مسجد قائم كان الناس يزورونه والمذمار مثلها في الرفعة وبيت ريب حصن ذو عرق منقطعة عندها قصور آل المنصور وحرهم وأموالهم لا مثلها غير باب واحد والأراس حصن بينها وبين بيت فائس وهو حصن واسع وبعد أن ذكر أبوابها قال وتغلق هذه الأبواب على هذه الحصون وهذه الحصون وهذه القرى على ضياع تؤدي خمسة آلاف ذهب براً وشعيراً ليكون سبعة آلاف وخمسمائة ففيز وتغلق على ميدانه وأنوباته ومجزرته ومساجده ومراعيه وأغنامه وبقره وخيله ما خلا الإبل فإنها لا تطلع وفي معظم حصونها زروع أعقار فيها ماؤها ومرعاها وجميع مرافقها ومدينة خولان العظى صعدة وهي بند الدباغ في الجاهلية الجهلاء وهي في موطن بند القرظ ربما وقع فيها القرظ من ألف رطل إلى خمسمائة بدينار مطوق على وزن الدجرهم القفلة وأما ظاهر خولان فهو أسل وفيه قرى زروع واعناب دافقين وجبل أبذر وأبذر مثل جبل ذخار من الجبال التي في رؤوسها الماء والمرعى والزرع والقرى.

ويشتد في صنعاء البرد لا يتحول الإنسان الشتاء والصيف من مكانه فإذا اشتد بها الصيف وحر فدخل الرجل يقبل على فراشه لم يكن له بد من أن يتدثر لأن بيوتها في الصيف باردة لأجل قصة الجير المسيع بها بواطن البيوت فيدخل في المخدع على فراشه ويطبق عليه الباب ويسبل السترين والسجف فلا يتغير ضياء البيت لأجل الرخام الذي يكون في الجدران والسقف بل إذا كان في السقف رخامة صافية نظر عوم الطائر بظله عليها إذا حاذها وتؤدي الرخامة لمعان الشمس إلى القصة فتقبلها بجوهرها وبريقها. وأعشاب اليمن وحبوبها غريبة في بابها ومنها الورث والنبان اللذان لا يكونان في غير اليمن ويصيران في جميع الأرض.

ومن الأبار العجيبة البئر المطلة بريدة ومنها بئر سراقفة لمراد في أسفل الجوف وطولها خمسون باعاً وماؤها عذب فوات لا يكدرها الدلاء وبئر سام بن نوح بصنعاء وكهالة بئر ذي يزن بين زبيد وعدن وبئر هوت بسفل حضر موت وبئر مينون المذكورة في القرآن. أما معادن الفضة بالرضراض فما لا نظير له وبها معادن الحديد غير معنولة مثل نغم وغمدان وبها فصوص البقران ويبلغ الثلث بها مالاً وهو أن يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود والبقران ألوان ومعدنه بجبل أنس وهو ينسب بن الهان بن مالك والسعواني من سعوان وإد إلى جنب صنعاء وهو فص أسود فيه عرق أبيض ومعدنه بشهارة وعيشان من بلد حاشد إلى جنب هنوم وغلينة والجنش من شرف همدان والعشاري وهو الحجر السناوي من عشار بالقرب من صنعاء والبنور يوجد في مواضع منها والمسنى الذي يعمل منه نصب السكاكين يوجد في مواضع منها والعقيق الأحمر والعقيق الأصفر العتيقان من الهان وبها الجزع الموشى والمسير وفي مواضع منها منه النقي وهو فحل العرف والسعواني والظهري منه أجنس والخولاني والجودي من

غديقة والشرب يعمل منه الواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداخن
وقحفة وغير ذلك وليس سواه إلا في بلد الهند والهندي عرق واحد.
ومخالف اليمن وقصورها القديمة التي ذكرها العرب في الشعر والمثل كثيرة فأولها وأقدمها
غمدان ثم تلغم وناعط وصروح وسحين بخارب وظفار وهكر وظهر وشباء وغيمان
وبيون وريام وبراقش ومعين وروثان وأرياب وهند وهنيدة وعبران والنجير
بخصرموت.

وغمدان قصر عجيب قد بني ثلاثة أوجه ووجه بالجروب الأبيض ووجه بالجروب
الأصفر ووجه بالجروب الأحمر ووجه بالجروب الأخضر والجروب الحجارة وابني في
داخله على ما التقن من أساسه قصراً على سبعة مقوف بين كل مقفين أربعون ذراعاً
وسقفه من رخامة واحدة وجعل على ركن تمثال أسد من شبه كعظم ما يون من الأسد
فكانت الريح إذا هبت من ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت جوفه من دبره ثم
خرجت من فيه فيسمع له زئير كزئير الأسد وكان يأمر بالمصاييح فحسرو في بيوت
الرغام إلى الصبح فكان القصر ينبع من ظاهره كمنع البرق فإذا أشرف الإنسان ليلاً
قال أرى بصنعاء برقاً شديداً أو مراً كثيراً ولا يعلم أن ذلك من ضوء السرج فكان
كذلك حتى أحرق.

قال ياقوت أن غمدان كان حصن كان يترله الملك الذي يكون على اليمن وكان
أعجباً فلما منكت الحبشة اليمن أخربته إلا بقايا هدمها عثمان بن عفان رضي الله
تعالى عنه في الإسلام وقال ينبغي لمآثر الجاهلية أن تمحى وأن في الحصن مصنعة عليها
قبة منطلق. وفيها يقول خنفس الأهر

ومصنعة الطلق أودى بها ... عوادي الأحاديث بالصيدين

وفيها يقول قدامة حكيم المشرق وكان صاحب كياء

فارقدها نارة ولو أنها ... أقامت كعبر الدهر لم تنضم

لأن الطلق لو أوقد عليه ألف عام لم يسخن وبه يتطنى النفاطون إذا أرادوا الدخول في النار.

وبني أبرهة بن الصباح بصنعاء القينسة وهي كنيسة بناها لصاحب الحبشة لم ير الناس أحسن منها ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفيحاء وألوان الأصباغ وعنوف الجواهر وجعل خشباً له رؤوس كرؤوس الناس ولكنها بأنواع الأصباغ وجعل لخارج القبة برنساً فإذا أن يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلاها رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تلم البصر وسماها القينس (بضم القاف وتشديد اللام).

ون قصور اليمن قصر شوحطان وقصر كوكبان وأكثرها من عجيب البناء وقيل أن هذا القصر الأخير كان مبنياً بالفضة والحجارة وداخله بالياقوت والجواهر.

ومن أعظم عجائب اليمن السد الذي كان باليمن عني مثال سد أسوان في مصر اليوم ومأرب كما قال المهيني أمم قصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان يني سباً كما أن تبعاً اسم لكل من ولي اليمن والشعر وحضرموت وهذا السد عني ما قال المسعودي من بناء سباً بن يشجب بن يعرب وكان سافده سبي وادياً ومات قبل أن يستمه فأتمته منوك حمير بعده وقال المسعودي أيضاً بأن بانيه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين شعباً. ومأرب بين حضرموت وصنعاء وبينها وبين صنعاء أربعة أيام وهي قرية ليس بها عامر في القرن السابع إلا ثلاث قرى يقال لا الدروب إلى قبيلة من اليمن فالأول من ناحية صنعاء درب آل الغشيب ثم درب كهلان ثم درب الحرمة وكل واحد من هذه الدروب كاسمه درب طويل لا عرض منه طوله

حو الميل كل دار إلى جانب الأخرى طولاً وبين كل درب نحو فرسخين أو ثلاثة وهم يزرعون على ماء جار يجيء من ناحية المد فيسقون أرضهم سقية واحدة فيزرعون عليه ثلاث مرات وفي كل عام ويكون بين بزر الشعير وحصاده في ذلك الموضع نحو شهرين. وسد مأرب بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل إلى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج إلا من جهة واحدة فكان الأوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع ما يجتمع من ماء السيول فيصير خنف السد كالبحر فكانوا إذا أرادوا سقي زروعهم فتحوا ذلك السد بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وحركات مهندسة فيسقون حسب حاجتهم ثم يمدونه إذا أرادوا. قال ابن حوقل ومجتمع الماء الذي بأرض اليمن في ديار سبأ إنما كان موضع مسيل ماء فبني على وجهه سد فكان يجتمع فيه مياه كثيرة يستعملونها في القرى والمزارع حتى كفروا النعمة بعد أن كان الله تعالى قد جعل لهم عنارات قرى متصلة إلى الشام فسقط على ذلك المكان آفة فكان لا يحسك ماء وهو قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها إلى قوله ومزقناهم كل ممزق فبطل ذلك الماء إلى يومنا هذا.

أما سيل العرم الوارد ذكره في الكتاب العزيز بقوله فأرسلنا عليهم سيل العرم فإنه كان على رواية في أيام منك حبشان فأخرب الأمكنة المعنورة في أرض اليمن وكان أكثر ما أخرب بلاد كهلان وعامة بلاد حمير وولد حمير وكهلان هم سادة اليمن في ذلك الوقت خربها حتى لم يبق من جميع الأرضين والكروم إلا ما كان في رؤوس الجبال والأمكنة البعيدة مثل ذمار وحضرموت وعدن ودهيت الضياع والحدائق والجنان والقصور والدور وجاء السيل بالرمل وطبها على ذلك إلى القرن السابع.

ومعنى العرم (بفتح أوله وكسر ثانيه) لكر والمناة التي تسد فيها المياه وتقطع وهي
تلك المناة التي كانت قد أحكت لتكون حاجزاً بين ضياعهم وحدائقهم وبين السيل.
وقيل العرم الماء الأحمر واسم واد بعينه أو اسم للجرذ الذي نقب الكر عندهم هو
الذي يقال له الخند وقيل العرم المطر الشديد قال المتنم بن قرط البنوي
ألم تر أن الحي كانوا بغطاة ... بمأرب إذ كانوا يحنوها معا

وقال الأعشى

ففي ذاك لنؤتسي أسوة ... ومأرب عفا عنها العرم
رخام بنته لهم حمير ... إذا ما نأى مأوهم لم يرم
فأرى الحروث بأغنامها ... عنى ساعة مأوهم إن قسم
وطار الفيول وفيالهم ... بيهضاء فيها سراب لم ينم
فكانوا بذلكم حقبة ... فمال بهم جارف منهدم

وقال جهم بن خنفة:

ولم تدفع الإحسان عن رب مأرب ... منته وما حواليه من قصر
ترق إليهم تارة بعد هجعة ... بأمراس كتان أمرات عنى شزر

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

يا ديار الحياتب ... بين صنعا ومأرب=جاءك السعد غدوة=والثريا بصائب
من حريم كائنا ... يرمي بالقواضب=في اصطفاق ورنه=واعتدال المواكب

هل تسترد اللغة العربية أمجادها

(تضمة ما في الجزء الأول)

فضة العرب في الإسلام

لندع جزيرة العرب الآن إلى ثلث القرن السابع الميلادي لميلاد المسيح ثم لنعد إليها بعد ذلكم ولنحدث عما نرى أمة متفقة الكلمة مجتمعة الرأي متحدة اللغة والدين قد قوي اجتماعها واشتد أسرهم حتى صار كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وقد كفوا سيوفهم عن أنفسهم وشهروها في وجوه عدوهم من الفرس والروم فطردوا كسرى من المدائن وأجلوا قيصر عن الشام.

سنوفي أين ذهب ما كانت توصف به الأمة من تفرق الكنة وتشعب الرأي ومن تعدد الدين وتنوع النهجات. ؟.

أين شريعة موسى وتعليم عيسى. ؟.

أين الوثنية وعقائد الصابئة وأنجوس. ؟.

أين حمية الجاهلية وعصيتها. ؟.

أين تنكم الضغائن التي كانت تثير الحفاظ وتأكل القلوب. ؟.

كل ذلكم قد ذهب به الإسلام أيها السادة فلم يبق له في الجزيرة العربية أثراً ولست أريد أن ابحت عن مصدر ذلكم لأني إنما أحاضر في تاريخ اللغة لا في تاريخ الشعب.

القرآن

كان القرآن للعرب شمساً نسخت عنهم ظل الجاهلية وأضاءت منهم ظلمة النفوس ونقبت اجتماعهم من حال إلى حال فقد جاءهم بضروب من القول لم يعهدوها وفنون من الكلام لم يعرفوها مشتملة على أمتن قواعد الاجتماع وأصح أصول التشريع محتنة بنافع الحكم ونايغ الكتم وجيد الوصف والتشبيه وصادق القصص والتاريخ وقد أنكروه إذ سمعوا بادئة الأمر ولكنهم لم يلبثوا أن خضعوا له وأذعنوا لسلطانه طوعاً أو كرهاً بعد أن بهرهم جماله وسحرهم روعته وأصبحت قلوبهم حكته وهذبت نفوسهم

آدابه وظهر لهم الحق من ثباته جميل الصورة وطلق اخيا يفتق رواؤه القنوب ويحنب الألباب ولست أريد أن أطيل في وصف القرآن لأن ذلك يحتاج إلى محاضرة خاصة وغنى أقول أنه قد غير العرب تغييراً تاماً فلم يات عليه خمس وعشرون سنة إلا وقد ألان من القوم قلوباً قاسية وصفى طباعاً جافية وأرق كباداً غليظة وهذا ألفاظاً فجة ونقل الأمة من البداوة إلى الحضارة ومكن لا في الأرض وهيأها لفتح والغلب على الجملة أنشأ من العرب خلقاً جديداً.

هنالك خضعت اللغة لمؤثرين كبيرين أحدهما الإسلام والثاني الفتح.

فأما الإسلام فقد صنع بالقوم ما عرفتم فحنت لغتهم وورقت ألفاظهم وظهرت عندها بشاشة الدين وطهارة النفوس.

وأما الفتح فقد استأثر عواطف القوم بعد كبرها وأطلق ألسنتهم بالخطب الرائعة والشعر الجليل نصراً للحق وزوداً عنه.

مذهب باطل

وهنا يجب علي أيها السادة أن أبطل مذهباً اجمع عليه كافة المؤلفين في آداب اللغة من احدثين يتبعون فيه رأي المؤرخ ابن خلدون رحمه الله.

زعموا أن الآداب العربية ولا سيما الشعر قد وقفت أيام النبي والخلفاء الراشدين لأن العرب قد شغلوا عنها بالدين والفتح وتأسيس الملك فلما استقر الأمر لبني أمية نهضت الآداب من كبرها واستيقظت من غفوتها إلى آخر ما يقولون.

خطأ جداً هذا المذهب أيها السادة لأنه لا يستند على حجة ولا يعتمد على دليل.

نعم إنهم لم يجدوا على ذلكم برهاناً إلا شيئين اثنين الأول أن لبيد بن ربيعة وهو من فحول الشعراء المخضرمين قد ترك الشعر في الإسلام اعتداداً بالقرآن واحتفالاً به وقد

بعث عمر بن الخطاب إلى عامره عني الكوفة استشد من قبلك من الشعراء وابعث إلي
 بشعرهم فدعا العامل لبيداً وأبا النجم وأبلغهما أمر عمر فأما أبو النجم فقال
 أرجزاً تريد أم قصيدة ... طلبت شيئاً عندنا موجوداً
 وأما لبيد فقد رجع إلى بيته ثم غدا عني الأمير بنوح قد كتب فيه سورة البقرة وقال
 هذا شعري.

الثاني أن محمد بن سلام وهو من عتقاء القرن الثالث للهجرة قال في كتابه طبقات
 الشعراء أن العرب في صدر الإسلام قد شغلوا بتأسيس المنك عن قول الشعر وروايته.
 والحقيقة أيها السادة أن ترك لبيد للشعر لا ينهض حجة عني العرب كافة قد تركوه أو
 قصرُوا فيه وإن ابن سلام رحمه الله قد أخطأ في الأولى وأصاب في الثانية فإن العرب قد
 شغلوا عن رواية شعر الجاهلية في أيام الفتح والفتن ولكنهم لم يشغلوا عن قوله يوماً ما
 ولذلك ضاع كثير من شعر الجاهليين بل من شعر المخضرمين لكثرة من استشهد من
 الرواة في أيام الردة والفتح وأيام الفتن السياسية الكبرى.

وإذا كان أبو بكر رضي الله عنه قد أشفق عني القرآن الكريم أن يضع بعد أن قتل من
 المسلمين خلق كثير في حروب الردة فكيف يكون حال الشعر ؟
 وكيف يشغل العرب عن قول الشعر والنبي صلى الله عليه وسلم كان يسعه ويدعو
 إليه ويأمر شعراءه أن يدفعوا عنه بقصائدهم وأشعارهم والخلفاء الراشدون كانوا
 يكثرُونَ استشهاده والبحث عنهم والقول فيه بل كيف يشغلون عن قول الشعر
 ومصادره الحقيقية قد كانت كثيرة موفرة فإن صدر الإسلام لم يخل من حروب يشد
 فيها الشعراء قصائد المدح للقواد التصريين والرياء لشجعان المستهدين وتحريض
 الأولياء وهجاء العداء والفخر بحسن البلاء ولو أن هؤلاء المؤلفين قرأوا التاريخ في كتب

المطولة المبسطة واستظهروا ما تشتمل عليه سيرة النبي وتاريخ الخلفاء من مآثر
القصاصد وحياد الأراجيز في فنون الشعر المختلفة ما استطاعوا أن يسجلوا غنى أنفسهم
هذا القول ولا أن يصنوا القرآن الكريم بأنه قد كان سبباً لالمخطاط الآداب العربية يوماً
ما.

الخطابة

كان شأن الخطابة في صدر الإسلام أرقى بكثير من شأنها في الجاهلية لأنها كانت صناعة
الخلفاء والأمراء وحرفة الجيش والذادة عن الشغور فقد سن النبي صلى الله عليه وسلم
للمسلمين صلاة الجماعة وجعلها من حق الخليفة يقيمها في حاضرة الدولة ويستخلف
عليها الأمراء في الولايات فكان يجب على الخليفة والأمراء أن يخطبوا المسلمين يوم
الجمعة من كل أسبوع ولم تكن هذه الخطبة مقصورة على الوعظ والدين كما هي الآن
بل كانت تتناولهما وتتناول الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فكان اجتماع
المسلمين في مساجدهم يوم الجمعة أشبه شيء باجتماع المجالس النيابية الآن إلا أن
مجامعهم كان يرأسها الخليفة المسئول أمام الصغير والكبير ولم يكن يكره الخليفة أن
يقوم له الرجل من أطراف المسجد فيرد رأيه أو ينافس خطبته بل كان ذلك لهم مصدر
سرور وإعجاب.

وكما أنكم ترون الآن وزارات المم الراقية لا تستطيع أن تنهض بعينها إلا بعد أن
تعرض خطتها السياسية على مجلس النواب كذلك كان الخلفاء الراشدون لا يستطيع
أحدهم أن ينهض بأعباء الخلافة حتى يجمع المسلمين ويخطبهم خطبة بين فيها غودجاً
لسياسته التي سبغها في أيام خلافته على أن حادثاً كبيراً قد حدث للعرب فآثر في

أخلاقهم وآداب لغتهم ولاسيما الشعر والخطابة وهذا الحادث هو الفتنة التي ابتدأت بقتل عثمان ولم تنته آثارها إلى الآن.

منشأ الفتن الإسلامية

منشأ الفتن الإسلامية أيها السادة شيء واحد هو النزاع بين الملكية والجمهورية وقد بدئ هذا النزاع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فكان بنو هاشم يرون الملكية الشورية ويعلمون أنهم أحق الناس بوراثته الملك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولسان هذا الحزب علي والعباس وكان أبو بكر وعمر وعامة الصحابة يرون الجمهورية على أن تنحصر في قريش لأن القرآن لم يحن بوراثته الملك ولأن النبي قد قال الأئمة من قريش وقد انتصر هذا الحزب على جماعة الأنصار الذين كانوا يريدون أن يكون منهم أمير كما انتصر على بني هاشم أيضاً فبويع لأبي بكر وعمر ومن بعده لم يتخلف عن البيعة بنو هاشم لأنهم كانوا يرجون أن يؤول الأمر إليهم بعد موت هذين الرجلين ولما وضع عمر قاعدة الشورى بويع عثمان وجد بنو هاشم في أنفسهم وبايعوا مكرهين لأن بني أمية وهم رهط عثمان كانوا أكثر قريش عصبية وأشدّها قوة وكان يخشى منهم أن ينهضوا فيشتوا الملك لأنفسهم بالسيف ولذلك لم تمض على بيعة عثمان أعوام حتى تارت أطراف الدولة على الولاة وكثر الطعن في الخليفة والنعي عليه ثم أقبنت وفود العراق ومصر إلى المدينة وقد اضربوا الشر واستشعروه فحاصروا دار عثمان ولم يتركوها حتى قتلوه وبايعوا علىاً وكان هذا أول عهد الإسلام بالفتنة ولما قتل عثمان وبويع علي خرج عليه طلحة والزبير وعائشة يطالبون بدم عثمان فكانت بينه وبينهم موقعة الجمل ولم تكد تمخض هذه الثورة حتى خرج عليه معاوية وأهل الشام يخنعونه ويطنبون قتلة عثمان ويردون الأمر شورى بين المسنين فكانت بينه وبينهم مواقع

صفين ولما التحم القتال بينهما ولجأوا إلى التحكيم خرج طائفة يقولون أن عنياً ومعاوية ومن تبعهما قد كفروا بالله ومرفقوا من الدين فحنت لنا أموالهم وأنفسهم ونسأؤهم وهكذا انقسم المسلمون أقساماً وتحزبوا أحزاباً.

تفرقوا شيعاً فكل جزيرة ... فيها أمير المؤمنين ومنير

قتل علي وتم الأمر لمعاوية ولكنه لم يمض حتى عاد الانقسام إلى المسلمين أشد مما كان ونشأت فتق عزقت لها وحدة الأمة وتفاقت من أجلها القوى ولست أريد أن أذكر الفتن وأخبارها ولا أن أشرح غوامضها وأسرارها بل يكفي أن أذكر لكم الأحزاب التي أوجدتها هذه الفتنة فأولها حزب الشيعة وهم أنصار بني هاشم وهؤلاء انقسموا قسمين كبيرين فمنهم من دعا إلى بني علي ومنهم من دعا إلى بني العباس - الثاني حزب الأمويين وهؤلاء انقسموا قسمين أيضاً فمنهم من دعا إلى بني معاوية ومنهم من دعا إلى بني مروان - الثالث حزب الزبيرية وهم أنصار عبد الله بن الزبير وكل هؤلاء يطالبون الملك ويطمعون فيه. الرابع حزب الخوارج وهؤلاء قد انقسموا أقساماً كثيرة ولكنهم يطالبون الجمهورية - الخامس حزب المرجئة ومذهبة جماعة لم يظهروا الميل إلى حزب من الأحزاب ولم يحكموا على أحد بكفر ولا بإيمان وغنما تركوا ذلك لله وقد أظهروا الطاعة لكل منكم عادل من أي حزب كان. . . وكل هؤلاء الأحزاب كانت تحكم إلى السيف والقوة وتدافع عن آرائها بالشعر والخطابة وقد سنكروا بالشعر في تنكم الأيام مسلك الصحف السياسية الآن وأنا أترك لكم تقدير ما ينال الشعر والخطابة في أثر ذلكم الاختلاف من عنو المزلّة وسمو المكانة ولكني أقول أن الخطب قد طالت وتنوعت مناحيها وسلك بها الخطباء طرقاً جمة في الجدل وقد رقت ألفاظها واستعارت من القرآن الكريم شياص من رشاقة الأسنوب ومئاته ولم تكن تحسب

الخطبة إلا إذا رصعت بشيء من آي الذكر الحكيم عَنى طريقة الاقتباس وقد اختصت الخطابة في هذا العصر بوجوب ابتدائها بحمد الله والصلاة عَنى نبيه فإذا لم تبدأ بالحمد فهي براء وإذا خنت من الصلاة فهي شوهاء وهذه هي المَعْدرة التي حنتني عَنى أن أخالف في هذه الخطبة عادة العصر الجديد.

الآداب العربية في أيام بني أمية

تملئت لبني أمية آخرة الأمر وقد ورث العرب أرض الفرس والروم وقيأت لهم أسباب الثروة والغنى فكنوا القصور الشامخة واتخذوا نضائد الحرير وسطور الديباج وطعموا في آنية الذهب والفضة وصحت فيهم نبوة أبي بكر رضي الله عنه حين قال لعبد الرحمن بن عوف والله لتأخذن نضائد الحرير وستور الديباج ولتألن النوم عَنى الصوف الأذري كما يَألم أحدكم النوم عَنى حمك السعدان فلم يكن لأنفسهم بد من أن تتأثر بهذه الحضارة ولم يكن لألسنتهم مندوحة عن أن تخضع لهذا التأثير ففرقت الألفاظ والمعاني ورشقت الأساليب والتراكيب وقد أعرب القوم عن أهواء أنفسهم وعواطف قلوبهم بالغناء ونشأت فيهم طبقة من الشعراء لم تحسن إلا ذكر النساء والتشبيب بهن وطبقة أخرى لم تجد إلا وصف الخمر والإشادة بمحاسنها وآخرون نبغوا في المدح والهجاء والوصف والرياء والفخر والوعظ وغيرها من فنون الشعر وقد ظهر ميل القوم إلى العنم فأخذوا يبحثون عنه ويسعون إليه وبدأوا يضعون عنوم الدين واستعاروا كثيراً من الألفاظ الأجنبية لكثير من المعاني الحديثة ولكن خطراً كبيراً قددهم اللغة ولم يكن إلى اتقائه من سبيل فنندع العرب الآن في جزيرتهم ولنقف آثار اللغة في مواطنها الجديدة لعرف هذا الخطر من مصدره ونبين ما أعدوه له من الدواء.

كيف انتشرت اللغة العربية

خرجت اللغة العربية من جزيرة العرب مع جيش المسلمين فصادفت لغة الفرس والروم في الشام والعراق فطردهما ثم انتقلت إلى مصر فصادفت لغة الروم والقبط فطردت الأولى ومحت الثانية ثم أخذت طريقها في شمال أفريقية فلقيت لغات البربر فحصرتهن في رؤوس جبال الأطلس ثم جاوزت إلى الأندلس فالتقت باللاتينية والغوطية فحصرتهما في الكنيسة وبيوت المسيحيين.

كل ذلك في مدة لا تتجاوز حصة وثمانين عاماً فمن أين لها هذه القوة وذلكم البأس الشديد. ؟

هنا يجب أن نسير في البحث على مهل وأناة لأننا بإزاء شبهة عصرية ترد على الدين واللغة معاً.

قالوا أن دين العرب ولغتهم لم يسودا إلا بالقوة والسيف ولست أريد الآن أن أذود عن الدين فرما أدبت هذا الواجب في محاضرة أخرى وغنما أريد أن أدافع عن اللغة التي هي موضوع بحثنا الآن.

اعتذر بعض القديسين من ظلم الكنيسة في القرون الوسطى فقال يضطهد الأشرار من يكرهون ولكن الكنيسة تضطهد من تحب.

أما أنا فأقول أيها السادة أن الإسلام لم يضطهد حياً ولا عدواً وإذا كانت حضارة الفرنج ومدنيتهم قد أباحنا لهم أن ينشروا لغتهم وهجيتهم وعلومهم وآدابهم بالقوة والبأس فإن بداوة العرب وهجيتهم لم تبيحنا لهم شيئاً من ذلك في صدر الإسلام وكذب من يزعم أن في التاريخ العربي الجميل إشارة ما إلى أن اللغة العربية قد التجأت في سؤدها إلى القوة أو اعتمدت على السيف.

وكيف لا يكذب ودواوين الحكومة الإسلامية في الشام والعراق ومصر بقيت أعجمية إلى عصر عبد الملك بن مروان أي إلى الزمن الذي استعربت فيه الناس وأصبح من خلل الرأي وسوء السياسة معاملتهم بغير اللغة التي يفهمونها.

إذاً فما هي الأسباب الحقيقية التي نشأت عنها انتشار اللغة وسوددها. ؟

إن لبعض الأمم قوة طبيعية تمكنها من القهر والتغلب ومن الفوز والانتصار المادي والأدبي أُنًى وجدت وإذا أردت لهذا النوع من المم فلن أجده مثلاً الآن أصدق من الإنكيز في أمريكا.

أولئك الذين يسحقون شخصية الأمم ويمحقون جنسيتها في أميركا ويغيبون عنيتها جنسيتها ولغتهم ودينهم من غير اعتماد على قوة ولا اعتداد بسلاح وقد كان العرب من هذا النوع فتسكنوا من التغلب الأدبي ولولا أن لغتهم صادفت من أهل الفرس عداءً وحقدًا ومن لغتهم قوة وشدة لأتت عليها في وقت قريب.

وهناك سبب آخر لانتشار اللغة العربية وهو الدين العربي الذي يأخذ كل مسلم بالصلاة ومعنى ذلك أنه يأخذ كل مسلم بحفظ شيء من القرآن الكريم وليس على الدين من ذلك بأس فإن الله لم يزله إلا ليجعل الناس أمة واحدة كما أنه لم يسد بالقوة ولم ينشر بالإكراه.

ولقد نشأت عن اختلاط العرب بالعجم ومصاهرهم شيء من فساد الألسنة واعوجاجها وظهر النحن في اللغة من لمولدين والمستعربين وهذا هو الخطر الذي أشرنا إليه آنفاً ولما أحمد العرب في القرن الأول للهجرة نهضوا لإصلاح رسم المصحف ووضع النحو والصرف وجمع اللغة وتدوينها ولكن انقضت الدولة الأموية ولما يحصلوا من ذلك على شيء كثير.

الآداب العربية في أيام بني العباس

نهضت دولة بني العباس والعرب قد سئوا الغزو وزهدوا فيه لطول ما قاتنوا في الفت والفتوح فمالوا إلى الخفض والدعة واطمأنوا إلى الترف والتعظيم.

وقد نضج العقل العربي فترع إلى البحث والتفكير ورغب في النظر في أنواع الموجود فانقسمت الأمة إلى قسمين كبيرين قسم ينل الحضارة ويهذبها وقسم يترجم العلم ويزيد فيه والخلفاء يشاركونهم في كل ذلكم ويشجعونهم عليه فتم يأت عصر المأمون رحمه الله حتى بلغت العرب من العلم والحضارة ما لم تبلغه الأمم ولم تصل إليه الشعوب.

الخطابة

ولعلمكم لم تنسوا تلك الأحزاب السياسية التي أوجدتها الفتن الإسلامية واشربنا إليها آنفاً فقد أضعفت قوة العباسيين أمرها بالمشرق وفلت عزمها فاستحالت إلى أحزاب دينية خالصة وقد تركت السيف والسمان ولجأت إلى القلم واللسان واعتدلت على الجدل والمناظرة معتدة بالعدل والحكمة معترزة بالفنفة والمنطق فكان للخطابة من ذلكم جمال وروعة لم يكونا لها من قبل ولا سيما بعد أن عرفوا أصول الخطابة عند اليونان بما ترجموه من كتب أرسطوطاليس . . وقد أصبحت الخطابة في أيام بني العباس صناعة تعلم وقد انفرد لدرسها جماعة أشهرهم إبراهيم بن محمد بن السكوني وبشر بن المعشسر وقد وضعوا لها أدباً وشرائط خاصة دون بقية أنواع القول واشتد حرصهم على مراعاة الآداب والشرائط ولكن ذلك كله قد قبيأت له الأسباب في أواخر أيام بني أمية كما هي القاعدة الفطرية فإن تغير الأحوال الأدبية وغيرها لا يحدث بقيام دولة وسقوط أخرى وإنما هو نتيجة تغير خفي في أفكار الأمة وعقائدها ومكوناتها.

وهذا التغير الخفي هو المؤثر الحقيقي في جميع ما يحدث للأمة من الاستحالات الأدبية والسياسية الخفية.

وقد انحصرت الخطابة لذلك العهد في تنكم الأحزاب السياسية التي استحوطت إلى دينية وسميت بالتكسين ولاسيما بعد أن استهان الخلفاء بصلاة الجماعة والخطابة وقد بدأت هذه الحصنة في أيام بني أمية وأول من أحدث ذلك فينا أعنم هو الوليد بن عبد الملك الذي أهمل أول أدب من آداب الخطابة فخطب جالساً على المنبر ولم يكن للناس بذلك عهداً وكثيراً ما لها الخلفاء بجواريتهم عن صلاة الجمعة وأتابوا عنها القواد ورجال الحاشية وقد تحدث صاحب الأغاني أن الوليد بن يزيد اصطبح يوم الجمعة فننا نودي للصلاة كره أن يفارق الكأس فبعث إلى الناس في المسجد الجامع بجارية تؤمهم في الصلاة.

ومما أبدع الوليد في الخطابة أنه شرب في يوم الجمعة فننا أردنا الصلاة قال لنعمائه والله لأخطبن الناس شعراً ثم صعد إلى المنبر فقال :

الحمد لله ولي الحمد ... نحمده في يسرنا والجهد

ثم استمر في أرجوزته حتى أتمها.

لذلكم فقدت الخطابة منزلته السياسية وعظم شأنها الديني عند التكسين فتبع فيها واصل بن عطاء وغيره وقد أدخل التكسين في الخطابة كنسات خصها العناء بهم وحظروها على غيرهم فقالوا أليس وليس يريدون الإثبات والنفي وقالوا لاشئ المادة يريدون جعلها لا شيء وقالوا ماهية الحيوان يريدون حقيقته وقالوا كيفية الجسم يريدون شكله وصورته إلى غير ذلك مما يخطئ في كتابنا حفظهم الله يستعملونه بغير حق وما هم في استعماله إلا ظالمون وقد تحدث الجاحظ رحمه الله أن بعض التكسين سمع

في مجلس بعض الخنفاء رجلاً يتكلم ويقول أليس وليس فكاد يطير فرحاً ويتقد غيظاً
فأما الفرح فلأنه سمع كنهه الاصطلاحية وأما الغيظ لأنه سمعها من غير متكلم أي من
غاصب لها معتد عليها ولم يأت عصر المعصم بن الرشيد حتى اعتمد العلماء على
الكتابة وأخذ ظل الخطابة في الزوال وربما كان آخر الخنفاء الذين خطبوا الناس من بني
العباس هو المتوكل بن المعصم.

ستفيد ذلك من قول البحري في تهته بالعيد .

وروقت في برد النبي مذكراً ... بالله تنذر مرة وتبشر

الشعر

أما الشعر فقد رقي في أيام بني العباس حتى كاد يفنى حسناً ولطفاً وقد تصرف في أنواع
من القول وتعددت مذاهبه ومناحيه باتساع الحضارة واستفحال العيران وكبر العقول
والمدارك وأظنكم تفهون مقدار الفرق الكبير بين الشعر العباسي وغره من أنواع
الشعر العربي إذا سمعتم قول بشار في الشورى

إذا بلغ الرأي المشهورة فاستعن ... بحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عينك غصاصة ... فإن الخوافي قوة لنقوادم

أو قوله في المدح :

إذا أيقظتك خطوب الزما ... ن فبه لها عراً ثم تم

أو قول أبي نواس في الغزل :

دمعة كالنؤلز الرط ... ب على الخد الثيل

ذرفت في ساعة الب ... ين من الطرف الكحيل

إنما يفتضح العشا ... ق في وقت الرحيل

أو قول البحري في الاستعطاف :

سيدي أنت ما تعندت ذنباً ... فأجازى به ولا خنت عهداً

أتراني مستبدلاً بك ما عث ... ت بديلاً أو واجداً منك ندا

حاش لله أنت لئن ألفا ... ظاً وأحنى شكلاً وأصنح قدراً

أو قوله في وصف عواطف الحب والبغض :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها ... تذكرت القربي ففاضت دموعها

شواجر أرماح تقطع بينهم ... شواجر أرحام منوم قطوعها

على أن القرن الثالث لنهجرة لم يكد ينصرم حتى ذهب معه جمال الشعر العربي وأخذ الشعر يبدو في منظر سمج ومعرض رث.

الكتابة

بقيت صناعة من صناعات الآداب العربي لم نتكلم عنها في الجاهلية ولا في جميع الأعصر العربية إلى الآن وهي الكتابة وأظنكم تعلمون أن الجاهليين لم يكونوا على شيء منها لكأنهم من الأمية فأما في صدر الإسلام وأيام بني أمية فقد كانت الكتابة موجزة مجزاة إلى أن جاء عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء من بني أمية فأطال فيها وترسل قفى أثره كتاب العباسيين ولكهم بالغوا في الأطناب وأغرقوا في الترسل وظهرت في رسائلهم صبغة الفلسفة التي اصطبغت بها عقولهم وقد أخذوا عن اللغات الأخرى كثيراً من الأساليب الجديدة ونبع فهم أمثال ابن المقفع والجاحظ وابن وهب ولم يأت القرن الرابع لنهجرة حتى أخذت الكتابة العربية في الانحطاط وأخذ التكلف والمحاولة مكان الترسل والسهولة الفطرية.

العلوم في أيام بني العباس

أشرنا في أيام بني أمية إلى ما أصاب اللغة من الدخن والتحريف وقلنا أن العرب أشفقوا على اللغة أن تفسد وعلى الكتب أن تعبت به الألسنة فهضوا لوضع النحو والنصرف وجميع اللغة وتدوينها ولكن ذلك لم يتم إلا في أيام بني العباس إذ هض أئمة البصرة والكوفة فأخذوا اللغة عن قبائل العرب الخنص الذين وثقوا منهم بعد مخالطة الهند والفرس والروم والحيش والقيط ثم دونوها في الكتب فاستبطوا منها قواعد الألفاظ من نحو وصرف واشتقاق ووضع الخليل بن أحمد علم العروض والقافية وأصلح الخط ووضع شكله المعروف إلى الآن مقتطفاً الفتحة من النون والكسرة من الياء والضمة من الواو كما يظهر ذلكم في مقابلة هذه الحركات إلى تنكّم الحروف وقد توسع سيويده في النحو والنصرف فألف كتابه المعروف الشائع إلى الآن وألف الخليل بن أحمد أول معجم لغوي وهو كتاب العين وأخذ العلماء يصنفون الكتب الأدبية يجمعون فيها أطرافاً من جيد الشعر وبارع النثر ليظهرها الطلاب فيتعينوا بها على تقوية المنكة العربية وتقويم الألسنة وتفرغ قوم لرواية الحديث وآخرون لرواية المغازي والتاريخ وأيام العرب وغيرهم من الأمم وانفردت طائفة لاستنباط الحكم وتشريع القوانين وتدوينها وآخرون لرواية القرآن وعام القراءات واختصت جماعة بنقل الكتب الفلسفية في العلوم المتنوعة عن المم المختلفة وشرحها والزيادة عليها وعلى الجمنة لم تجد اللغة العربية عصراً كهذا العصر أصبحت فيه لغة العقل واللسان والوجدان والدين ولكن ما ينفعها ذلكم وقد أصابها الخطر الداهم الذي لا دافع له ولا مندوحة عنه فقد أصبح فساد الألسنة عاماً وأصبحت اللغة الفصحى في الحواضر مقصورة على العلماء والخاصة وأما عامة الناس فأخذوا يتكلمون بلغة سيئة اللهجة فاسدة التركيب سوقية الأسلوب وظهر

إن ذلكم الدواء الذي التجأ إليه العرب لم ينفع إلا في حفظ النغمة والكتاب من الفساد فأما تقويم النسبة وتذيب المطلق فلم يكن قادراً عليها قد أخذ العامة يخترعون لهم فنوناً خاصة من الشعر لا يزال كثير منها باقياً إلى الآن وهو الذي يدور على النسبة العامة والمغنين ولم يأت القرن الرابع حتى بدأ عصر الانحطاط.

سقوط النغمة العربية

ففي ذلكم القرن بدت بوادر العلة على النغمة فذهبت نضرها وتصوت زهرها ومال الكتاب إلى السجع البارد والازدواج الفاتر والتكلف المنقوت وأخذ العناء يستبطون عنوم الأساليب كالبیان والمعاني فلهوا بالقديم من جيد الكلام عن أحداث الحديد من أمثاله وقد أخذ الشعراء يتعقرون بأهداب البديع ويتشبثون بمحسنات اللفظ ويغنون في الخجاز والاستعارة حتى صار لشعرهم معرض رث ومنظر سجع ولعل لآخر من أجاد من الشعراء في هذا القرن على الطريقة الفنية الصحيحة المبرأة من العيب والنقد هو الشريف الرضي رحمه الله فأما المتنبى وأبو العلاء فقد عنيا بالمعاني أكثر مما عنيا بالألفاظ على أنهما كانا يحاولان الإجابة النفضية فيكلف المنقوت ليظهرا أنهما قادران على النغمة ومحيطان بها وحبكم من ذلكم لزوميات أبي العلاء وما فيها من اصطناع الحواشي واتخاذ الطرق الوعرة.

فأما المتنبى فلا أستطيع أن أحصي سرقاته واستعاراته الباردة وتكلفه المنقوت وشغفه بأحسنات النفضية ولقد أحفظ من شعره ما لو أنشدتكم إياه الآن لظننتوه لغة فارسية أو هندية على أن كل ذلكم لا يعرض من قدر الرجلين في الحكمة والفلسفة أما الخطابة فلم يبق لها أثر في ذلكم العصر وأما الكتابة فقد كثر فيها السجع والتكلف وكما قلنا وقد الفت كتب كلها على طريقة السجع وقد استعجمت الألفاظ ونشأ في هذا العصر

نوع من الكتابة ليس له نتيجة إلا الدلالة عَلَى المقدرة النغوية كمقامات الحريري التي لا أريد أن أصفها إلا بأن كلام الجاهلين اقرب منها فصاً وأسوغ منها مذاقاً وأحسن في الإسماع وأدق في الانطباع ولم يأت القرن السادس حتى لَزِمَت النغمة العربية كنها وأخذت في الاحتضار وهنا يصعب عني أيها السادة أن أرافق النغمة وهي تختصر فلأدعها الآن ولبحث عن أسباب نموها وسقوطها.

أسباب نمو النغمة العربية

في النغمة العربية مزايا ثلاث من أسباب نموها وارتقائها وهن الاشتقاق والجاز والتعريب.

فأما الاشتقاق فهو تغير مادة الكنية تغييراً قريباً أو بعيداً أو أبعد إلى صور مختلفة للدلالة عَلَى معان متنوعة فكلمة الرفع مثلاً تدل عَلَى العلو فإذا غيرت إلى الفرع دلت عَلَى الفص وإذا غيرت إلى العرف دلت عَلَى الطيب وإذا غيرت إلى العفر دلت عَلَى التراب ثم لنا أن نأخذ منها رفع بالتحريك للدلالة عَلَى الماضي وكذلك يرفع ورافع ومرفوع الخ.

وأما اجاز فهو إطلاق الكنية عَلَى غير معناها لعلاقة بين الجديد والقديم مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأول فسطيع أن نطلق الغيث عَلَى النبات لأنه سببه وأن نطلق النبات عَلَى الغيث لأنه مسبب عنه وأن نطلق العين عَلَى الرجل لأنها جزء منه وأن نطلق الأسد والبدر عَلَى الشجاع والجميل لن بينهما مشابة ومشاكلة وأما التعريب فهو نقل كلمة أجنبية إلى النغمة العربية واصطلاحها حتى تصير عَلَى الوزان المقبلة المعروفة وهذا النوع كثير في كلام الجاهلين وفي القرآن الكريم وكثرته في عصر الأمويين والعباسيين مدهشة. . . فهذه المزايا الثلاث التي توجد في النغمة العربية أكثر مما توجد في اللغات

الأخرى وقد جعلت اللغة مسعدة للنساء والارتقاء قابنة لكل جديد مرحة بكل طريف لا تضيق بها مهنة كان أمره ولذلك استطاعت أن تسع حضارة الفرس والروم وأن تحيط بأنواع العلوم على اختلافها من غير أن تشكو فقراً وتظهر احتياجاً. وفي اللغة العربية عيان عارضان وهما كثرة الترادف والإغراق في الاشتراك أما الترادف فهو دلالة الألفاظ الكثيرة على معنى واحد وأما الاشتراك فهو دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة.

الترادف والاشتراك طبعيان في كل لغة ومصدرهما اختلاف الأذواق وتباين المشارب في الوصفين وهما من أقوى الأدلة على أن اللغة من وضع الإنسان فهنا ليس من عيوب اللغة وإنما كثرتها هي العيب وقد وجدت هذه الكثرة في اللغة العربية وبلغت حداً فاحشاً حتى أن بعض المعاني ليدل عليه المئات الكثيرة كما أن بعض الألفاظ بما دل على عشرات المعاني.

ومع السرور أيها السادة أقول أن هذا العيب ليس طبعياً في اللغة العربية وإنما هو عارض محدث وأول عهد الناس به بني أمية وبني العباس فقد عشنا أن العرب كانوا ذي لهجات متباينة ولغات متباعدة في الجاهلية ثم غلبت لغة قريش على اللغات بواسطة الأسواق وظهور الإسلام فلما قضى الأئمة لجمع اللغة وتدوينها أخذوا لغات القبائل الصريحة على علاقتها وحنطوها من غير تفريق ولا تميز فنشأ من ذلك كثرة المعاني للفظ الواحد وكثرة الألفاظ لنفس المعنى الواحد وهذان هما الترادف والاشتراك.

هذه هي أسباب نمو اللغة العربية وثروتها وأنتم ترون بأنها كافية بأن تجعل اللغة العربية من أقوى اللغات وأقدرها على الحياة كما أنها قد جعلت في اللغة كثيراً مما لا حاجة إليه.

أسباب سقوط اللغة

أما سقوط اللغة فلم يكن عن ضعف فيها أو فتور في طبيعتها وغنىها هو نتيجة سبب لا أعرف غيره وهو تغلب العجم على العرب وتعددها إشهار الحرب على اللغة والدين والجنسية العربية حتى أتوا عليها جميعاً فأنتم تعلمون أن طبيعة الإنسان وتوجب على الأمة الغالبة أن تبذل قوتها في أن تجمع السيادة للغة ودينها وآدابها ومن حسن حظ الإسلام أن الأمم التي تغلبت على العرب لمثلث أن دانت به واتخذته ديناً ولولا ذلك لحاربتة وناوأته كنا حصل ذلكم في بلاد الأندلس أيام تغلب الفرنج على المسلمين فقد استحالت المساجد فيها إلى كنائس ولم يبق للإسلام بها أثر قليل ولا كثير ومن حسن حظ اللغة العربية أن الإسلام لا يستطيع أن يستغني عنها لأن القرآن عربي والسنة عربية والفقه القديم عربي ولولا ذلكم لنحقت اللغة العربية بأخواتها القديمة الدارسة أو لأصبحت لغة صناعية كاللاتينية واليونانية القديمتين.

نخسة اللغة العربية في العصر الجديد

أقبل هذا العصر الجديد وقد أتت لغة الترك على اللغة العربية في الشام والعراق وبلاد العرب وطردتها فارس من بلاد الفرس فظلت لغة الدين في بلاد الدولة العلية وبها حديث العامة مع تحريف قبيح بنهجات سيئة يمجتها المصري وإن كانت لغته وقد أصابها من التحريف شيء كثير أنا الفرس فينطقون بها القرآن الكريم على غير ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم يفخمون حروفاً ويرققون أخرى وربما لم يتيسر لهم الإعراب في التلاوة وقد ناهضت لغات الإفرنج والبربر عربية المغرب في شمال أفريقية فشوهت محاسنها وجعلتها بحيث لا تكاد تفهم.

نعم إنما لا تزال لغة الماسجد والدين ولسان العامة ولكن الفرنج قد أتوها من ناحية لا تأمن معها الفناء فأخذوا يعنون لغتهم للأحداث ويهملون تعليمهم اللغة العربية حتى ينشأ أحدهم وهو لا يعرف من لغة إلا الرطانة السوقية التي يصطنعها العامة في أحاديثهم وهي خليط من العربية والبربرية والفرنسية والإسبانية فقد ظهرت نتيجة هذه الحرب الضروس فكره شبن الجزائر لغتهم وزهدوا فيها حتى أن كتب الدين الإسلامي ربما ألفت لهم بالفرنسية.

أما في مصر فلم يكن نصيب اللغة من الفساد قليلاً بل كان كثيراً غالباً في الكثرة وحكم أن من العسير جداً أن تجدوا كاتباً مصرياً يجيد الإعراب في هذه العصور الأخيرة التي تنهي قبل الآن بأقل من نصف قرن غير أن الأحوال قد تغيرت في مصر والسام تغيراً غير قليل في هذه الأيام فهض من القطرين رجال حاولوا إتقان اللغة والنوع في فنونها فأدركوا من ذلك نصيباً موفوراً ثم عكفوا على إحياء اللغة بنفس الطريقة التي اصططعت أيام بني العباس وهي طريقة النقل والترجمة وليس من السهل ولا من المفيد أن نبحث عن أي القطرين كان أمبق إلى ذلكم وأحرص عليه ولكن يكفي أن نشير إلى أسباب النهضة ومقدماتها وذلكم غير عسير.

لنهضة النغوية في عصر زعيمين لكن منهما ركن يأوي إليه ويعتز به أما أولهما فالرحوم رفاعة باشا فهض لإحياء اللغة بفضل الأمير الجليل رأس الأسرة المالكة في مصر فقد أتقن العلم باللغة ونبع في كثير من الفنون وأخذ يترجم ويأمر أقرانه وتلاميذه بالترجمة ويصنع كثيراً من راجه حتى وجد في اللغة العربية كثير من الكتب المختلفة في أنواع العنوم وكل ذلك يرجع الفضل فيه إلى الوفود العلمية التي كان يبعثها ذلكم

الأمير الجنيل إلى بلاد الفرنج لتدريس العلم وتعود إلى مصر فتتقله إليها بلسان عربي مبين.

نعم عن ذلكم لن يتيسر كل التيسر فإن كثيراً من تنكم الكتب يشينها سوء السبارة وغنوضها وسوقية النقط وسقوطه ولكن صدق المثل القائل ماش خير من لاش غلى أن هذه النهضة لم تكن إلا مقدمة فمن الخطأ أن نضن لو كانت راقية كل الرقي أو بالغة الكمال.

أما الثاني فهو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه ومعينه هو الوزير الخطير المحروم مصطفى رياض باشا فقد نشأ الأستاذ رحمه الله محباً للعلم عاكفاً عليه وكان كما تعلمون ذكي القلب ثاقب البصرة ماضي العزم شديد الصرامة فلم يلبث أن نبغ في كثير من الفنون وبلغ ما لم يبلغه مصري قبله ولا بعده وعلي لا أغني إذا قلت في جميع أيام التاريخ حتى الآن.

وقد أتقن رحمه الله اللغة الفرنسية وعرف ما تشتغل عليه من العلوم فآخذ يبحث مرديه على ترجمة الكتب النافعة ويشجعهم ويعمل هو لذلك بقدر ما يستطيع وأخذ يجد أيضاً في إحياء كثير من الكتب العربية القديمة وحبكم أن كتاب المخصص في اللغة الذي ألفه ابن سيده الأندلسي إلا أثراً من آثاره مساعدته من رجال الإصلاح المخلصين وقد مات رحمه الله وله على اللغة فضل كثير وقد أصحح من لسان الحكومة غير قليل فحل منه عقدة كان معها أعجم لا يبين.

أما الآن فقد أصبحت لهضة اللغة في مصر فوضى ليس لها من زعيم ولذلكم كثر التخليط في الألفاظ والأساليب فالشعراء والكتاب يترسلون في التعبير عن ضنائهم غير جارين على قاعدة ولا معتمدين على قياس في كثير من الأحيان.

الأزهر

أجمع المؤلفون في تاريخ الآداب العربية من أبناء هذا العصر عَلَى أن الأزهر الشريف كان هو المعقل المنيع والحصن الحصين الذي احتضت فيه اللغة العربية من إغارة اللغات الأخرى عليها.

واسمحوا لي أيها السادة بان هذا خطأ ليس له من الحق نصيب ولست أريد أن أستدل عَلَى ذلكم بل يكفي أن ترجعوا إلى كتاب الخاتمة الذي ألفه الأستاذ الجليل فتحي زغلول باشا فإنكم ستجدون فيه من كلام العناء وفيهم الأدباء المنشئون ما يضحك الكنى ويسلي هم الحزين فإن أعياكم هذا الكتاب فارجعوا إلى كتب الأزهر بين أنسهم فإنها تطيع وحدها أن تبرهن عَلَى ما أدعيه فإن أعياكم فهم هذه الكتب فكتاب صغير يباع بشئ قليل اسمه إنشاء العطار أرجوا أن ترجعوا إليه فإنكم ستجدون فيه أحسن فكاكة لكم في أوقات الفراغ ولا تزال لغة الأزهر الشريف إلى الآن مع الأسف متأخرة عن لغة غيره من المدارس ومعاهد العلم وحكمكم دليلاً عَلَى ظنم الأزهر لغة العربية أن كتاباً واحداً من كتب الدب واللغة لم يكن يدرس فيه فلم جاء الأستاذ الإمام أنر أن يقرأ فيه كتاب الكامل للبرود ولكنه لم يكدر يخرج من الأزهر حتى أُلغيت قراءة الكتاب إلى أن جاء شيخ الأزهر الحالي فارجع الأمر كذا كان.

والنظام الجديد هو الذي أدخل في الأزهر آداب اللغة كذا أدخل غيره من العلوم الحديثة.

المدارس

نخطي كل الخطأ إذا اعتدنا عَلَى المدارس في تقويم الألسنة وإصلاح المنطق فإن هذه

لمدارس لا تزيد عَنى تلقن الطلاب شيئاً من قواعد النحو والصرف والبلاغة وليس ذلك بمنع عنا شيئاً وإنما السبيل والواضحة إلى ما نريد هي تمرين الطلبة عَنى الإصابتة في القول والإعراب في النطق مع درسه مائة اللغة وأساليبها واستظهارهم الكثير الجيد من آداب القدماء وقد سنكت مدرسة القضاء شيئاً من هذا في أول أمرها فحظرت عَنى الطلاب أن يتكسروا فيها إلا باللغة الفصحى وقال الأستاذ الجليل عاطف بك بركات فيما كتبه عن المدرسة في سنتها الأولى أنها إذا استمرت عَنى السير في هذه الطريقة لم تلبث أن تصير قطعة من الحجاز في صدر الإسلام ولكن يظهر أنها قد أخطأت الطريق وجرت مع غيرها من المدارس في مضار واحد.

نمضة اللغة في العصر الجديد

الصحف

ولقد لخطئ خطأ كبيراً إذا جحدنا فضل الصحف عَنى اللغة فقد جاهدت في ترقية اللغة وإصلاحها بما تحيرت من شريف الألفاظ والأساليب عَنى أنها لم تلبث أن التجأت كارهة إلى إدخال كثير من الأعجبي فيها وكثيراً ما تتعلق بالمجع وتسنك بأهداب البديع حتى صار كثير مما ينشر فيها نوعاً من الأوابد والألغاز عَنى أن أجيلين من كتابها قليلون.

الصحف الرسمية

يسوعي أيها السادة أن اقرأ في صدر الجريدة الرسمية الأمر العالي يختم باسم ملك مصر وارى في المجموعة الرسمية حكم القاضي مصدراً بهذا الاسم الكريم ثم أنظر في ألفاظها فلا أرى من الفرق بينها وبين ألفاظ العامة إلا قليلاً ويسوعي أيضاً أن اقرأ في الصحف الرسمية رسائل الحكومة وقراراتها ثم أقران بينها وبين ما كان يصدر عن الحكومية

العباسية والأموية من رسائل الصائبي وعبد الحميد فأرى الفرق بينهما كالبعد بين الأرض والسماء ولئن حق الاعتذار عن الحكومة في الأيام الماضية فإني لا أجد ما اعتذر به عنها الآن فقد أصحح الأستاذ الإمام رحمه الله جريدتها الرسمية وحلاها بمشير من الفصول النافعة ولكنه لم يكدها يتركها حتى اقتطع نصفها وعادت إلى ما كانت عليه من سوء النهجة وفساد العبارة.

وإنه ليحسن بالحكومة التي تعمل على إصلاح اللغة في البلاد أن تصلح لغتها قبل كل شيء حتى يثق الناس أنها إنما تعمل ذلك في بنية صادقة وعزم صحيح.

الشعر

لم يكن للشعر العربي أن يرقى بعد فساد السيقة اعوجاج الألسنة لذلك انحط في الأيام الماضية حتى يكاد ينسى ولكنه الآن قد ارتقى بعض الشيء على أنه لا يزال منحطاً بالقياس إلى الشعر العربي القديم وإلى رقي الإنسان في هذا العصر وإن كان بالقياس إلى شعر القرن الماضي في أرقى الدرجات على أن العامة قد منكوا في التعبير عن شعورهم مسلك الإسجال والأوزان البديية وانقطعت العلاقة بينهم وبين الشعراء الذين اصطنعوا اللغة الفصحى كما قلت في أول المحاضرة.

الخطابة

أما الخطابة فهي الآن قسبان أحدهما خطابة المسجد وهي عبارة عن ألفاظ فارغة قد منثت بها كتب كثيرة يحفظها أئمة المساجد ويتلوها على الناس من غير أن يكون لها أثر محمود وأنا أترك لكم تقدير نكبة المناير الإسلامية هؤلاء الخطباء بعد أولكم المصافح المناطق.

ومن المضحكات أن القاعدة في صدر الإسلام هي اعتماد الخطباء على السيف في البلاد التي فتحت عنوة وعلى العصي في البلاد التي افتتحت صلحاً فلما خلف هذا الحنف أصبح أثمنا يعتمدان الآن على سيف من خشب على نحو من التقليد المفقوت. الثاني خطابة الأندلس والجماعات على حد سواء كانت سياسية أو علمية أو أدبية وهذا النوع كثيراً ما يشتمل على المباحث المفيدة ولكن آداب الخطابة العربية قد تنوسيت فيه واستبدلت منها آداب جديدة بين العامة والإفرنجية وقد استباح الخطباء لأنفسهم في الخطابة أشياء لم تكن مستباحة من قبل بل كانت محظورة على الخطباء كالسعال وشرب الماء وغيرها أما لغة الخطابة فليست بتلك اللغة الراقية وإنما هي عامة في كثير من الأحيان وبما يخلط الخطيب بين النحن والإعراب ومصدر ذلكم أنه لم يحسن درس اللغة حين بدأ في تعلمها.

طريقة الإصلاح

لا اعرف في إصلاح اللغة إلا طرقاً ثلاث قديمة غير جديدة أي أي لست مبتدعاً لها بل قد سبقني لها المصنفون الأولى نشر الآثار القديمة للعرب وإحياء ما ألفوه من كتب العلوم والآداب ليقرأها الناس فيحصلوا على نتيجتين لازمتين إحداهما معرفة الأساليب العربية الصحيحة واستظهار الألفاظ المتخيرة والوقوف على مبلغ ما كان للقوم من سعة المدارك والعقول - الثانية شعور القراء بفخامة ذلكم الجهد الضائع والشرف المفقود شعوراً يدفعهم إلى النهوض لاسترداده وإعادة ما كان له من منزلة سياسية ومكان رفيع ويلحق بهذه الطريقة ترجمة الكتب النافعة مما ألفه الفرنج لتتسع بها العقول وترقى النفوس وقد جرى الأستاذ الإمام رضي الله عنه في هذه الطريق شأواً بعيداً فألف جماعة إحياء الكتب العربية التي نشرت المخصص وغيره من الكتب فلم يمت رحمه الله

حتى نقض عقدها ولم يبق لها أثر في الوجود وقد قرأت للحكومة في السنة الماضية قراراً في هذا الموضوع بفضل أستاذي الجليل أحمد زكي باشا وكن مضى عليه العام ولم تظهر له نتيجة أو أني لأخشى أن يكون قد لحق بأمس الدابر - الثانية تأليف جماعة من أولي العزم باللغة والبصر بمادقنا وأساليبها تقوم بما يحتاج إليه هذا العصر من تسمية المحدثات على إحدى الطرق التي أرت إليها آنفاً وهي الاشتقاق والجاز والتعريب وتعمل على استبدال كثير من الألفاظ العامة بموادقها من اللغة الفصحى وتشرف على أساليب الكتابة والشعر والخطابة فتزود عنها ما يدخلها الواغنون من أدعياء الشعراء والكتاب وإنما احتجنا إلى هذه الجماعة الآن لما تعلمون من أن اللغة الفصحى قد أصبحت الآن صناعية فلم تبلغ مكانتها الأولى إلا إذا وجدت لها من أهل السنم أطباء حاذقين يحسنون الطب لدائها والتعسر لدوائها وقد وجدت منذ سنين لسيء من هذا العرض في نادي المعلمين فاستبشرنا ورجونا الخير فاستقبلتها الصحف بالحمد والإغراق في الثناء ولكنها لم تلبث أن غطت في نوم عتيق وأملها الآن تحنم بحسن الظفر وتحقيق الآمال.

الثالثة تعويد الأطفال من أول عهدهم الإصابة وتخير الجيد من القول على الطريقة المسكنة حتى يشبوا وقد قويت السليقة العربية فلم يحتاجوا إلى القواعد إلا من حيث أنها نوع من الفلسفة اللغوية كما هو عندها الحقيقي ولست أرى لأكفاً لهذا العمل ولا أقدر عليه من الأستاذ أحمد أفندي القطان في بستانها الصغير الذي خطبكم فيه منذ أيام فإذا استطاع هذا الأستاذ أن يعدني بأنه ينشئ اللغة الفصحى في هذا البستان كما ينشئ الخلاق والعقول فقد حق له على الثناء الجميل وقد حق علينا جميعاً أن نتنهض

ونبذل ما نستطيع لإيجاد هذا البستان وأمثاله وبهذه الطرق الثلاث التي فصلتها الآن
تفصيلاً نستطيع أن نصنع للغة استرداد مجدها القديم.
طه حسين

الاشتيايم أو الاستيايم

والمختظة أو المختنطة

معنى الاشتيايم (بالشين وبالسین) عَنَى ما أثبتته النغويون وصحة ورود النقطه بنغتين
وجمعها.

ما معنى الاشتيايم بالشين المثثة النقط والاشتيايم بالسین المهنته؟ هذه النقطه لم ترد في
محيط اغيط لا في مادة ش ت م ولا في مادة س ت م بل ولا في اش ت م أو اس ت م
وقد وردت في ذيل اقرب المورد نقلاً عن اللسان قال في مادة ش ت م: الاشتيايم
بالكسر: رئيس الركاب (الإنسان) ولم يزد عَنَى هذا القدر. وأما أصحاب الصحاح
والمصباح والأساس والقاموس والإقيانوس والبابوس ومطعم النيرين وابن الأثير
والسيوطي وغيرهم فلم يتعرضوا لها. وقد ذكرها السيد المرتضى في مستدرک مادة ش
ت م إذ قال: الاشتيايم: رئيس الركاب. عن ابن برّي. ولم يقدنا عن أصلها ولم يذكر
شرحها أكثر من هذا القدر. وأما الإفرنج من عناء اللغة العربية فلم يذكرها وقد
نسبها غوليوس وفريتاغ وقزمير كسي ودوزي. وقد ذكرها لين في معجمه مد القاموس
قال: الاشتيايم بالكسر (والظاهر من قوله (أي من قول صاحب تاج العروس) بالكسر
أي أن يقال الاشتيايم) وهو رئيس الركاب عَنَى ما فسره ابن برّي. (والظاهر من قوله:
رئيس الركاب أي ركبان الخيل (كذا) لكن من أين أتت هذه النقطه. ذلك ما لا
أعنده. النهم إلا أن تكون معربة عن الفارسية استيايم إن وجد عند الفرس مثل هذه

اللفظ. ومعناها رئيس خيل البريد). أم قنت: هذا كنه كلام لين النغوي الإنكليزي العارف بأصول العربية إلا قولي: (أي من قول صاحب تاج العروس) وقولي: (كذا) فهي مني زدتها لفتاً للنظر. وهو في كلامه هذا بعيد بعد الشرى عن الشرى. ولعل البعض يرميني بسوء النقل أو الترجمة فمأذنا أورد هنا كلامه بنصه وحرفه الإنكليزي. قال:

الاشتيايم الاشتيايم رئيس الركاب رئيس الركاب أشتيايم

وليس هذا الغلط هو أول غلط وقع فيه هاويته هذا النغوي الإنكليزي ولا هو الأخير ففي معجمه من الأغلاط لو تجسست لقامت بين يديك كالجبال الشاهقة. وليس هنا موطن ذكرها. هذا فضلاً عن أنه فاتته ألفاظ ومواد كثيرة جاءت في القاموس أو تاج العروس بل في أصغر معاجم اللغة ودواوينها وهي لا توجد فيه ولا ذكر لها أو لحادتها أو أصنها في ديوانه.

قنت: والمراد من كلام ابن برّي: رئيس الركاب هم ركاب السفينة لا غير كنا ينضح تبياناً في ما يلي من الكلام وإيراد النصوص وكنا يظهر معناه لأول وهنة. وأما الاشتيايم بالسین فقد وردت في تاج العروس. قال في لسان العرب مصحح طبعه في هامش مادة م ل ط: قوله والمنسطة الخ كذا بالأصل هنا (أي الاشتيايم بالسین) وشرح القاموس قال: وسأتي في ل م ط وقد ذكر الاشتيايم هناك بالسین المهينة وعزاه لتكنة. وحرر كنه مصححه. أم قنت أنا: والاشتيايم وردت كثيراً من نسخ كتب التاريخ كمؤلفات الطبري والمقدسي لا بل وقد قال الجواليقي (١٥٤) أن اللفظ الفصح الصحيح هو الاشتيايم بالسین وشرحها هناك بمعنى: صاحب المتاع مع أن الكاتب نفسه ذكرها في كتابه المعرب بالسین وإن وردت في بعض نسخ كتابه القديمة بالسین إذ يقول:

البحري والجميع السياحة: قوم من السند يكونون مع اشتيام السفينة البحرية وهو رأس الملاحين أمـ. ولم يذكرها الخفاجي في كتابه شفاء العليل.

والظاهر أن لغتها بالسین أي الاستيام أفصح من الاشتيام بالشین المعجمة. لأن بعض أهل الجزائر يقولون إلى عهدنا هذا: ستم السفينة أوقفها في المرسى أو أرساها هنيهة من الزمان. وقد تلقى دوزي هذه الكنية من الكتب وراها هناك مكتوبة بالميم الممتدة لا بالميم الطويلة والملم الممتدة تشبه الراء أي أنه رىها مخطوطة: ستم فقرأوها ستمر واثبتها في معجسته ستمر قال: معناها أي ستمر (وهو لم يضبطها بل وضع بجانبها الرقم الروماني لندلالة عني أنها من وزن الأول من الرباعي أي ستمر وعزاها في الآخر إلى أي نقلاً عنه. فانظر إلى هذا النقل وإلى هذا الإسناد. وقد وقع مثل هذا الغلط المتولد من سوء قراءة الميم لطابع كتاب البندان لابن الفقيه المذاني وهو العلامة ذي حوي في الصفحة ٩ قال: فيه (أي في البحر) سمكة يقال لها الأطمر (هكذا وردت مضبوطة بالوجهين أي على وزن دغفل وزيرج) وما هي إلا كنية أطم كتبت ميمها الأخيرة ممدودة بشكل راء أي هكذا أطفظنها القارئ أو الناسخ أو الطابع أو من تشاء ميماً وراء. فصارت أطمر ونفس الكنية أطم مصفحة عن أطوم. فانظر إلى هذه النفظة التي تطورت أطواراً بيد الكتاب وقالوا فيها أيضاً لطوم. وظلوم ولطم. ولظوم ولطيم وغير هذه التصحيفات إلى ما شاءت أهواء النساخ والقراء.

وممكن ذكر الاستيام بالسین المهضلة غير الصاغاني في التكنة التاج في م ل ط ومصحح النسان في م ل ط أيضاً والجواليقي وهو أبو القاسم في كلامه عن لغة الملاحين.

وأما جمع النفظة فلم يرد في كتب اللغة إلا أنه ورد مكسراً أو صحيحاً في كتب المؤرخين وأصحاب وصف البندان. فقد جاءت النفظة مكسرة في كتاب المقدسي

المسمى بأحسن التقاسيم ص ١٠ قال وصاحبت مشايخ فيه ولدوا (أي في المحيط الهندي) ونشأوا من ربانيين وأشايمة أو في رواية وأسنه (هكذا مكتوبة بدون نقط) وقد جاءت مجموعة جمعاً سالماً في تاريخ الطبري في عدة مواطن منها في قوله: حتى إذا استمرت الحرب أمر الجذافين والاشتيامين أن يحثوا السير . . . ومنها في قوله الآخر: فصكت الشدوات بعضها بعضاً حتى لم يكن للاشتيامين والجذافين فيها حيلة ولا عمل فاحفظ الجمعين تصب إن شاء الله تعالى.

٢ - معنى النقطه على التحقيق

يتحصل هذا المعنى من كتاب تاريخ الطبري. قال في حوادث سنة ٢٥١هـ ... ٨٦٥م ما قد مر بك أن لغوي العرب قالوا في معنى الاشتيام والاشتيام: رئيس الركاب والملاحين ولم يخرجوا عن حمز هذا المعنى. إلا أن المعنى الأصلي كان لرئيس الملاحين أو لرئيس السفن البحرية الذي بيده الأمر والنهي وكل ما يتعلق بسير السفينة أو إيقافها إلى غير ذلك. نصه: ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة (إلى بغداد) عشر سفائن حربية تسمى البوارج. في كل سفينة اشتيام وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وثنون رجلاً من الجذافين والمقاتلة ومن هذا النص يؤخذ أن الاشتيام (وفي نسخة الاستيام) هو كبير البارجة البحرية ويقابله بالفرنسية '.

وقال في حوادث سنة ٢٦٥هـ ... ٨٧٨م: واستخلف (الجياثي) على الشدوات الاشتيام الذي يقال له الزنجي بن مهربان فهنا المراد بالاشتيام أمير الشدوات كلها (وهي ضرب من السفن البحرية والنهرية التي تتخذ في الحروب) فيكون معناها بالفرنساوية

وذكر في حوادث ٢٦٧هـ ... ٨٨٠م. محمد بن شعيب الاشتيام والمراد به رئيس المراكب البحرية الحربية لأنه يقول بعد ذلك: خرج الحباني وسليمان في الشدوات والسعريات وقد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه فأمر نصيراً المعروف بابن حمزة أن يبرز للنقوم في شدواته. ونزل أبو العباس عن فرس كان ركبته ودعا بشذاة من شدواته قد كان سماها الغزال وأمر اشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذافين لهذه الشذاة وركبتها إلى آخر الرواية مما يدل على أن محمداً هذا كان تحت إمرته عدة شدوات وسعريات.

ومما يزيدنا ثباتاً في هذا الرأي كلام ابن صاحب الصلاة إذ يقول: تقند الحكم عليها (السفينة) اشتيام ذو تيقظ واستبصار. وعليه فكلية الاشتيام تدل على ما يقابله بالفرنسية .

هذا هو المعنى الأعني على التحقيق في عهد العباسيين. لكن لما انقطع العهد بأخاربه على الشدوات والسعريات وبقي القوم يركبون السفن المذكورة لغاية التجارة والسفر أصبح الاشتيام بمعنى رئيس الركاب والملاحين معاً وله محل خاص كما في السابق لا يجنس فيه غيره وسموا هذا المقعد المنظمة أو المنظمة كما سيجي ذكرها. ولا يمكن أن يتصور الواحد أن يكون مقعد خصوصي لغير كبير السفينة. مثلاً أن يكون لخازن أمتعتها أو لخازن أطعمتها أو كما تخينه بعضهم فالمقعد الخاص هو للرجل الممتاز بين الجماعة والمتقدم فيهم لا غير .

٣ - الاشتيام والاستيام من أصل يوناني لا من أصل فارسي أو إرمي

قد مر بك أن لين العلامة الإنكليزي قال أن النقطه من الفارسية وهي فيها أستايا م أي رئيس خيل البريد والجمال هذه النقطه غير موجودة في لغة الفرس لا بالمعنى الذي ذكره لين ولا بمعنى آخر.

وأما العرب فقد رايت أنهم يسيروا إلى عجنة النقطه وكل مرة ذكروها اعتبروها كأنها عربية محضة مع أنها لا مناسبة بينها وبين مادة ش ت م أو س ت م وعليه فمن المحال أن تكون عربية المنبت.

بقي علينا أن نقول إما أنها من أصل إرمي وإما من أصل يوناني. وزقد ذهب المشرقون

إلى أنها من أصل إرمي فقد قال فرنكل وذي هوي وباين سمث ولاوي وبكسرف وكل من تلا تلوههم أنها من إشتيما أي الاشتيام مئى ومعنى وفسروها بالخاتم أي الذي يضع الختم على الشيء بعد أن يسده أو يغلقه. وقالوا أن معناها كنا ذكره باين سمث صاحب المتاع المحمول في السفينة أي يقابلها بالفرنسية وهي مشقة من ش ت م: الإرمية أي سد وختم وسدم وسطم.

قلت: إني لا أنكر أن كون النقطه جاءت أيضاً بمعنى صاحب الأمتعة المحمولة في السفينة. إلا أن هذا المعنى فرعي وأقدم معنى وصل إلينا هو المعنى الأول: أي رئيس الملاحين الموجودين في سفينة واحدة وفي عدة سفينة بحرية كانت أو لحرية. حربية أو تجارية ثم إن فعل شتم أو ستم الإرمي لم يرد إلا قليلاً وزلم يأت في كتب الإرميين بالمعنى المذكور فالذي جاء في معجم ابن جنول في معنى اشتيما: هو صاحب المتاع المحمول في السفينة كما نقنه عنه باين سمث. ولم يذكر الفعل شتم أو ستم الإرمي. وجاء في كتاب دليل الراغبين في لغة الآراميين ص ٤٤ اشتيما: صاحب وسق السفينة أيضاً: خليفة

تاجر الصحراء ووكينه ويحمل له الأغمار إلى الأهرآء لوقت الغلاة بأجرة معلومة اهـ.
ولم يذكر كلمة الاشتيام العربية كما لم يذكر في كتابه الفعل شتم أو ستم. مع أن هذا
الفعل قريب إلى العربية وهو فيها سدم الباب وسطه بمعنى سده. وفسر الأب برون
اليسوعي اشتياماً بمعناه: الساد أو السادم ومنه: واضع الأمتعة في مكان مغلق
ولاسيما أمتعة السفينة وعندي أن الاشتيام إذا كانت مأخوذة من الإرمية فالإرمية غير
مشتقة من فعل شتم أو ستم بل من اليونانية وهو اسم فاعل من فعل أي أوقف وأرسي
وهذه تقال عن السفينة كما تقال تلك الرجل بل عن كل شيء. ومنه الفعل العربي
المعروف عند هل الجزائر أي ستم بمعنى اوقف السفينة وأرساها. ولهذا السبب أيضاً
قال الجواليقي أن الاشتيام أفصح من الاشتيام. كما أن الاشتيام وردت في التكملة ولم
ترد فيها الاشتيام. فالسين فيها تبعاً للأصل اليوناني والسين لغة فيها. كثيراً ما يقلب
العرب السين المهمل شيناً ولاسيما إذا جاورت التاء كما يفعل الأتانيون في لغتهم. فقد
جاء في العربية: جاحشته في جاحشته: إذا زاحمته. (عن ابن المكيت) وشمرت السفينة
سمرت: إذا أرسلتها (وهنا السين لم تجاور التاء) وقالوا: أنشفت لونه وأنشفت بمعنى
واحد (عن أمالي تغلب) إلى غير ذلك. والنقطة اليونانية توافق كل الموافقة لمعنى
الاشتيام لأن برئيس المركب أو المراكب يناط إيقافها وإجراؤها وتدير أمرها كما
يتضح لأدنى تأمل.

٤ - المنظمة أو المنظمة والسوقية

لو كان معنى الاشتيام في الأصل صاحب الأمتعة الخسولة في السفينة لما أفردوا لبها محلاً
خاصاً به كما بينا ذلك قبيل هذا. لأن مثل هذا الرجل يجلس على أمتعته أو بجانبها لا
في موطن ينفرد فيه والحال إننا نعلم أن للاشتيام موطناً خاصاً به ومقعداً يقصد فيه هو

ولا يقعد فيه غيره يصون المنظمة قال في تاج العروس في ل م ظ: المنظمة (وهو لم يضبطها لا بالقلم ولا بالنص) مقعد الاستيام (هكذا بالسین المهينة) وهو رئيس الركاب والملاحين كما في التكملة. وسبق مثل ذلك في م ل ط (أي المنظمة بتقديم الميم على اللام) ولا أدري أيها أصح. اهـ كلام التاج. وما بين هلالين هو من كلامنا. قنت: الأصل هو المنظمة بتقديم اللام على الميم وهي مشتقة من تنظت الحية يقال: تنظت الحية: إذا أخرجت لساقها. لأن الاستيام يكون في مكان عال مشرف منه على البحر لينظر إلى يمينه ويساره وإلى أمامه وورائه متلفاً تنظت لسان الحية لينسكن من تسير سفينته وحفظها من الخطر وإجرائها في محل أمين. كنا هو معنوم عن محل الأشاقة في يومنا هذا. ويفردون له محلاً خاصاً لكي لا ينهو بأحاديث الناس أو بما يحدث حوالیه فيصرف ذهنه إلى ما لا يهنيه ويقابله بالفرنساوية^١

والنسان لم يذكرها في (ل م ظ) إلا أنه ذكرها في مادة ر ب ع قال في الصفحة ٤٥٦ في السطر ١٧: والمنظمة (وقد ضبطها بضم الميم وفتح التاء واللام وكسر الميم المشدودة والطاء المنقوطة المفتوحة وهاء في الآخر) مقعد الاستيام وهو رئيس الركاب. أما صاحب التاج فقد ذكرها في كتابي المادتين (م ل ط) و (ل م ظ) وقد ذكرها النسان في م ل ط المنظمة (ولم يضبط حركة اللام المشدودة): مقعد الاستيام. والاستيام: رئيس الركاب اهـ. قنت: والمنظمة تصحيف المنظمة ولم يذكر هاتين النقطتين لا القاموس ولا محيط الخيط ولا أقرب الموارد ولا مد القاموس تأليف لين ولا دوزي ولا الجوهري ولا الفيومي ولا صاحب الباروس ولا صاحب الأوقانيوس ولا سائر المعاجم الإفرنجية كغوليوس وفريتاغ وقزمير سكي. فيما له من إغفال وقع فيه أغلب النغوين.

هذا وأنت ترى ما تقدم أن العربية تحتاج إلى معاجم تجمع جميع الألفاظ العربية المذكورة في دواوين اللغة الواردة في محلها أو في غير مظنتها. وأن يثبت فيها المعاني على اختلاف ما وردت في الأعصار ليكون ذلك المعجم مورداً ينتابه النغوي كلما احتاج إليه ويجد فيه كل ما يحتاج إليه. إذ قد رأيت مما مر بك من الألفاظ ومباني لم تكن تظن أنها وجدت عند العرب لأهم لم ^{يكونوا} من المشهورين بالملاحة والبحارة. ومع ذلك فقد تحققت وجود ألفاظ لا تجد لها حرفاً واحداً مقابلاً لها في لغة الأعاجم الحاليين مع تبجرهم في المدنية وال عمران ومع تطهرهم في وضع الألفاظ لأدنى اختلاف في المعنى المرادف أو لأدنى تفاوت في معناه. فبما لها من لغة جمعت فأوعت ومدت سماً طافاً شيعت. وإن نسب إليها القصور بعض المهوسين للغات الأجنبية وهذا القدر كفاية متبصر.

ومثل المنظلة: السنوقية: قال ابن عباد في كتابه الخيط ونقل نصه الصاغاني في العباب وأورده أيضاً الفيروز آبادي في القاموس: السنوقية: مقعد الريان من السفينة اهـ ولم يريدوا على هذا القدر ولم يذكروا أصل النقطه وعندي أنها آرامية الأصل من فعل سنق الذي اسم مصدره سلقاً ومعناه الارتفاع والعلو. لأن الريان يكون في أعلى موضع من سفينة ليرقب ما حوله من متسع البحر ويقابله بالفرنساوية وهي مشتقة من بل هي مصغرها ومعناها الكتيب تصغير كتيب وهو تل الرمل كأن السنوقية تكون بعنو الكتيب ليشرف منها الريان على البحر.

(الخلاصة) يتحصل مما تقدم ذكره وشرحه أن الاشتيام والاستيام من باب الإطلاق والتغليب هو ' ' وإذا أريد به رئيس الملاحين فهو ' وإن جاء بمعنى رئيس الركاب فهو وإن عنيته به صاحب الأمتعة فهو ناظر المتعة أي وأما المنظلة والمنسطة فهو مقعد الاشتيام أي المقعد الذي يقوم بإجراء السفينة في نوبته لأن الأشاعمة يتناوبون في تدبير

أمر السفينة ويقابله بالفرنسوية وأما السنوقية فهو أرفع مكان يكون في السفينة ويكون مقعداً للربان وهو بالفرنسوية.

فقد جاء عندهم في شرحهم هذه اللفظة ما معناه: هي ما يبني بناية خفيفة فوق الجسر الأعلى من مؤخر السفينة وهو عبارة عن ربع طول المركب ويعنوا نحواً من مترين ويشرف على عشر المؤخر كما تشرف المنطرة على ساحة المدينة. ويكون عنده الاشتيام عند قيامه بوظيفته لأنه يتمكن من ذلك الموضع من أن يرقب ما حواليه في البحر. اهـ.

بغداد:

ساتسنا

استرداد الخرمين

في البلاد الأجنبية

لا مرأى في أن الردع لكثير من المخلوقات عن ارتكاب المنكرات الشخصية والاجتماعية والسياسية هو الخوف من العقوبة لا الخوف من الضمير. ولذلك نرى من الأخلاق لهم يرتكبون أفصح المنكرات إذا وجدوا للفراق والخلاص من وجه القانون سبيلاً.

لا ترجع النفس عن غيها ... ما لم يكن منها لها زاجر

والخلاص من أحكام القانون يكون بوجوه كثيرة منها (١) الرشوة (٢) شهود الزور (٣) إغضاء المأمورين لأجل تطبيق قاعدة إدارة المصلحة (٤) بلاهة بعض الحكام (الحاكم مأمور العدالة فقط). والدواء الوحيد لهذا الداء القتال تعميم العنم وقذيب الأخلاق وتعريف الإنسان معنى الإنسانية. أي أنه خلق لخدم أبناء قومه لا ليأكل

ويشرب وينافق وينام كهيئة الأنعام إذ لا ضرر من الأنعام إن لم يتحرش المرء بها، وأما هؤلاء فيأثم بمقتون من كان ذا مزية سواء وافقت أهواءهم أو لم توافق. لأن جل مراسمهم محق الحق والعدل والفضيلة ليس إلا. وأقوى سلاح يتخذونه هو الكذب والافتراء وغاب عنهم أن حبل الافتراء قصير.

(٥) فرار الجرم من بلاد دولة إلى بلاد أخرى. وهذا موضوع بحثنا هذا. لا يحق لدولة من الدول أن تكره مأموري دولة أخرى على تطبيق أحكام قوانينها مطلقاً. لأن حق القضاء محدود داخل المملكة ولا مسأغ لتعديه حدود غيرها. فعلاً من لا خلاق لهم من أرباب القنوب الصلبة والضماير الميتة هذه القاعدة نعمة كبرى وأخذوا يفرون إلى الممالك الأجنبية ليتخلصوا من الجزاء وهكذا كان. بيد أن هنا مضرات عديدة اجتماعية لفتت نظر رجال الدول فطفقوا يفكرون بتدبير مؤتم يمنع هذا الفرار لأجل استعادة الجرمين. لماذا؟

لا شك أن الجرم إذا ترك بلا جزاء يكون سبباً داعياً لكثرة الجرائم واختلال الأمن العام مما ثبت تاريخياً فإنه من أعدى الأمراض وإنه سريع الانتقال من مملكة إلى أخرى. وهذا هو السر الذي يدعو الدولة أن تطلب الجرم الفار من بلادها.

عنى أن الجرم إذا حل مريض بين أصحاب مرضهم أو فاسد بين أدباء أفسدهم فخوفاً من هذا شعرت الدول التي ينتجى إليها أحد الفارين بنزوم طرد هذا الجرم الفار من وجه العدل أو تسليبه على الأقل لكي تطهر بلادها منه.

ولهذه الأسباب نرى الدول في عهدنا تنهافت وأي تمات لعقد المعاهدات التي تؤدي إلى استرداد الجرمين الفارين. وإليك القواعد العلية:

لا يجوز طلب استرداد المجرم إلا إذا كان للدولة الطالبة أي التي وقع الجرم في بلادها حق القضاء على المجرم الفار. ولما كان حق القضاء محصوراً داخل الحدود الملكية أرائي مضطراً لبيان هذه الحدود ومحل تطبيق هذه السلطة ولهذا يجب قبل كل شيء تعريف أقسام ممالك الدول

١ - البلاد الواقعة ضمن الحدود الجغرافية.

٢ - البحور الداخلية أي التي تحاط بممالك خاضعة للدولة واحدة والأفقر والمضائق البحرية والترح.

٣ - المياه الساحلية أي ما يبعد عن الساحل ثلاثة أميال من البحر (الميل ١٨٥٢ متراً) أو إلى وصول مرمى أحسن مدفع. وهذا يعد من بلاد الدولة الجاورة وما عداه فهو عام.

٤ - البلاد المحتلة عسكرياً سواء كان بحال الصنع أو بحال الحرب.

٥ - السفن التجارية وسفن الترد.

فحق القضاء يشمل كل جرم وقع في هذه الأقسام المصرح بها أعلاه. ويحق لكل دولة طلب المجرم ثغاراته إذا ارتكب جرماً بها وفر إلى البلاد الأجنبية. وهذه مسألة من مسائل حقوق الدول محل بواسطة السفراء ونظارات الخارجية وفقاً للتعاهدات أو العرف والعادة.

ستنزم الجدييات العامة وبض الجنح المهنة الرد وأما ارتكبو القبايح فلا يطنون ولا يرددون.

القاعدة العلية في إعادة المجرمين - أن يكون المجرم محظوراً بقانون كذا الدولتين أي الفار منها والمتجأ إليها. مثلاً: تعدد الزوجات ممنوع عند الدولة الفرنسية ومباح عند

الدولة العثمانية. وعليه يعد جرمًا بفرنسا ومندوبًا بالمملكة العثمانية. فإذا فر فرنساوي والتجأ إلى الدولة العثمانية لارتكابه هذا الجرم هل يجوز تسليمه؟ لا يجوز قطعاً لأن الشرط يكون ممنوعاً عند الدولتين. أما لو كان جرمه جرم سرقة وجبت إعادته على شرط أن يكون بين الدولتين معاهدة أو تعامل.

أما لو التجأ أحد قرصان البحر إلى بلاد سويسرا وكان هذا فرنسوياً (من قبيل الافتراض) فهل يحق لسويسرا أن تمتنع عن تسليمه بحجة أن لا صراحة في قوانينها لهذه المسألة؟ كلا:

لأن عدم الصراحة في قانون سويسرا لم ينجم عن افتراضها القرصانية أمراً مشروعاً بل من عدم وجود سبب للرجح أمثال هذا القيد بقوانينها وذلك لفقدان السواحل عندها هذه هي القاعدة العملية بخصوص إعادة الجرم فنبحث الآن عن مستثباتها.

إن لهذه القاعدة استثنائين أحدهما يتعلق بالجرم والآخر بالجرم فالذي يتعلق بالشخص هو كون المنتجى من تبعه الدولة المنتجى إليها. فنو أن ألمانيا مثلاً ارتكب جرمًا في فرنسا ففر منها وأتى ألمانيا فنحيا الحق بأن تمتنع عن تسليمه. وهذه قاعدة كلية سارية بين جميع الدول. إذ كيف يقل قوم بخضوع فرد منهم لقانون قوم آخر؟

وأما الاستثناء الذي يتعلق بالجرم فهو أن يكون الجرم عسكرياً أو سياسياً فأرباب هذه الجرائم أيضاً لا تعاد بته.

وسبب ذلك أن الدولة لا تقبل الجندي الفار ولو أعيد لها لأنها لا تؤمل منه شيئاً بل تعده كالغصن الفاسد فقطعه من شجرها وتلقي به على الأرض خوفاً من أن يفسد مجاوريه. إلا إذا كان ضابطاً في سفينة ونزل إلى البر وامتنع من الرجوع إليها. فيعاد خوفاً من تعطيل السفينة.

وأما سبب عدم إعادة أرباب الجرائم السياسية فهو سر غامض وأمر مهم. لأن التاريخ يدل على أن أكثر الفارين من هذا القبيل كانوا على حق وإن سبب اضطهادهم وفرارهم لم يكن إلا من عنو أفكارهم التي تعجز حوصلة العامة أو رجال الأمر والنهي عن إدراكها فيعدونه مخطناً فيضطهدونه ويحكمون عليه حكماً جائراً ويخنقون فكرته. فلا جل الاستفادة من أفكاره في الحال والمستقبل لا تجوز إعادته بل إهم يحنونه ويكرمونه.

وهناك شرط آخر للاستعادة وهو عدم سقوط الجرم بمرور الزمان القانوني على حسب قوانين الدولتين.

قد يمكن أن يطالب الجرم من قبل دول متعددة في آن واحد فالواجب حينئذ تسليمه إلى الدولة التي وقع الجرم في بلادها. فإذا ارتكب ألماني مثلاً جرماً في فرنسا وهرب إلى بلجيكا وطالب من الدولتين في آن واحد، يجب تسليمه لفرنسا لا لدولة ألمانيا. أما لو ارتكب جرماً في ألمانيا دولته وفي فرنسا يسلم لدولته، ألمانيا. وإن كانت جرائم عديدة وفي بلاد مختلفة وطنبتهن كلهن بآن واحد ينظر: أي الجرائم أشد فيسلم التي وقع فيها ذلك الجرم الشديد. وإن كانت درجة الجرائم متساوية يسلم للتي تطالبه أولاً. أما إذا وجد بين دولة معاهدة فيسلم لربة المعاهدة دون أن يلتفت لأحد غيرها.

والخلاصة فإن معاهدات إعادة الجرمين تبحث دائماً في مسائل أربع:

١ - لا تعيد دولة من الدول منتجاً إليها إذا كان من تبعاتها.

٢ - أرباب الجرائم السياسية لا يعادون.

٣ - أن يكون الجرم ممنوعاً بقانون الدولتين.

٤ - أن لا يحاكم إلا من أجل الجرم الذي كان سبباً لفراره بغض النظر عما عداه.

ولا يذهبن عن نظرك أيها الفارئ الكريم أن إعادة الجرمين ليست أمراً محتملاً. فإن كانت الدولتان متعاهدتين فالإعادة ضرورية وإلا فلا.

ومن الأسف أن الدولة العثمانية لم تعاهد بهذا الباب مع إحدى الدول بتاتاً وقد مضى ربح من الزمن والدولة العثمانية تعيد لروسيا من يفر من بلادها لولايتي طرابزون واراض روم كنا أن روسيا كانت تعيد من يفر من العثمانيين إلى قفقاسيا. إلا أن هذا الوفاق لم يدم كثيراً.

وكان قد تقرّر مع دولة الصرب إعادة مجرمي الطرفين مؤقتاً ريثما تعقد معاهدة بين الدولتين. وبعد أن أعيد كثير من الجهتين فسخ هذا العهد الشفاهي لامتناع حكومة الصرب عن الإعادة.

وأما المعاهدة التي عقدت في أيام عارفي باشا مع حكومة أميركا فلم توضع موضع الإجراء قط.

وأما الآن فمن المقرر عقد معاهدة مع دولة اليونان حسبما يقتضيه الجوار ولاحتياج الطرفين لها.

وأغرب ما يتصور أن الإدارة السابقة كانت تعيد كل مجرم التجأ إليها دون مقابل ولا معاهدة حتى أن المجرم العثماني المحكوم بخمس عشرة سنة كان يفر إلى بلاد النمسا وبعد فوات الزمن يعود فرحاً فخوراً. أما المجرم النمساوي فكزان يعاد بمجرد وصوله إلى بلاد الدولة العثمانية. وما سبب هذه المسامحة والغفلة السياسية إلا الخوف من تعكير جو الرفاهية على زعمهم كأنه من الممكن اجتماع الشرف والتغافل السياسي!

نابلس

حسن عبد الهادي

الجنسية

تأليف ماكس نوردو العالم الإسرائيلي الشهير نقنها إلى العربية. م ع ج
كنة للعرب

كل مطع غنى مجرى الأفكار العصرية في الغرب يرى مسألة الجنسيات أو القوميات الشغل الشاغل لكبار الساسة وأعظم الكتبة وفحول العلماء ويكفي المرء أن يتصفح بعض الجرائد والمجلات الأوربية ليرى فيها ذكراً لهذه المعضنة الكبرى ووسائل كثيرة لحنها. وقد لقب الكتاب والمؤلفون عصرنا هذا بعصر الجنسيات لكثرة ما حدث ويحدث في أيامنا هذه من الجدال والمناقشة بشأنها حتى تعدت إلى المشاكل والمشاحنات وكادت تجر إلى الحروب. فهي إذن مشكلة اليوم وكارثة الغد. لذلك رأيت من اللازم إطلاع بني قومي غنى مجمل ما وصلت إليه الآراء بخصوصها فتم أجد بحثاً أدق وأتم من رسالة وضعها بالألمانية العالم الاجتماعي الشهير ماكس نوردو وصف بها هذه المسألة في جميع أدوارها وأبدى من آرائه فيها ما هو جدير بالاهتمام فبادرت إلى نقنها للعربية عنها تفليداً ولو بعض الإفادة في أحوالنا الحاضرة.

وماكس نوردو هو أحد نعناء العصر المشار إليهم بالبنان، إسرائيلي الأصل ألماني المنشأ اشتهر بمؤلفاته العديدة ورسائله الجمة التي امتاز فيها بالجد والدقة في البحث وبعد النظر والصراحة. منه كتابه معنى التاريخ الذي أحدث ضجة كبرى عند ظهوره وقد أنجى فيه غنى الحقائق التاريخية والمؤرخين؟ و (السلطو البشرى) وهو مجموع أبحاث فلسفية اجتماعية عصرية مثل: (الفلسفة الروحية) و (مذهب النانيين) و (آخر القرن) و (القرن العشرين) ومنها كتابه المسى (أكاذيب مدينتا المغنى عنها) و (مناقضات الاجتماع) و (مناقضات علم النفس) ومن أمهات كتبه العنبة (روح وفيولوجيا

العقريّة والنبوغ) وعنده العقول في تدريس هذه المسائل. اهـ وإليك الآن رسالته في الجنسية قال:

الجنسية

إذا كنا لا نتدري كيف تستحوذ المعتقدات الباطنة على أفكارنا، وكيف تحول صورة مغلوطة تخيلناها لحادث ما بيننا وبين إدراك حقيقة ذلك الحادث، حتى لا تقوى على تمييز الاختلاف الحاصل بين بين الصورة وبين الحادث نفسه، وبالاختصار إذا كنا لا نعرف الخطأ الشائع أشد رسوخاً من الحكم العقلي وإن الخرافة أقوى أثراً من الحقيقة، فلا يمكننا أن نسلم بوجود نعر يعتقدون بأن مسألة الجنسيات خطأ وقي أو حاجة من حاجات البدئ (المودة) يصفونها بأنها قضية روحية استهوت كثيراً من العقول الكبيرة لكنها لا تنبث أن تتلاشى. وفي الواقع أن هناك فئة من الناس يدعون سياسيين يدعون أنهم يريدون مستقبل الأمم وهم يزعمون أن مسألة الجنسيات إنما اخترعها نابليون الثالث لإيجاد الصعوبات في داخلية الحكومات الأخرى فيكون له منها نصراء يظاهرونه في سياسته، سياسة التطوح. وما أحق أولئك الأدعياء من السياسة بنعوت الحماقة والبند لولا اعتبار أنهم مرتبط بشعب تنبذ الشعور الجنسي فيما يعد خطراً على وحدتها، فتصددهم أطناعهم، وخوفهم على مستقبلهم، وبعضهم رقي الأمم، والحق الذي يستولي عليهم بدنو فقد امتيازهم المفتصة عن ملاحظة الحوادث ودرسها. مثل هؤلاء السادة نجد في فرنسا الذي أضاع سلطانهما في أوربا تكون الوجدتين الألمانية والإيطالية، وفي النمسا حيث الأمم المغنوبة على أمرها تطالب الأمم الغالبة بحقوقها، وفي بلجيكا حيث يتناش الفنسيون حريتهم من أيدي الوالونيين. وأما الذين لا تعي بصيرتهم الأغراض الشخصية فيعترفون بأنه تنبذ الشعور الجنسي حادثة طبيعية تظهر ضرورة عند

حد محدود من النشوء البشري لا يمكن إعاقته أو منعها إلا إذا أمكن إعاقته مد البحر وجزره أو منع حرارة الشمس من أن تصل إلينا إبان الصيف. فالذين يقولون بأن الأمم ستبذل جنباتها فلا تعد تذكرها ليسوا أكبر عقلاً من ذلك الغلام الذي قال لأمه وهي تضمه: (مقي أصبحت طفلاً صغيراً مثلي فانا أيضاً أحزنك!).

وما هو أساس الجنسية، وما هي علامتها الفارقة؟ لقد كثر البحث في هذه المسألة واختلفت فيها الآراء. فقال بعضهم بالجنس يعني الأصل الفطري. والخطأ في هذا القول محسوس بحيث يوجب الأنفة من الرد عليه. أنا لا أعتقد بوجود الجنس البشري وإنما الشعوب المختلفة أنواع ثانوية لجنسنا، والاختلافات الشكنية والنوعية لم تنشأ عن تغير الجنس الواحد بسبب تأثير الإقليم بل منشؤها الحقيقي تعدد الجنس، يظهر لي أن السبب بين الأبيض والحشي أو بين البابو والهندي ليس أعظم من النسب بين الفيل الأفريقي والفيل الهندي أو بين الثور وبين الجاموس الأميركي. ولكننا قلنا نجد في جنس واحد كالأبيض مثلاً من الاختلافات المهمة ما يسمح لنا بوضع ميزة فارقة وحدود بين أشكال الجنسيات المتنوعة.

ويوجد في كل شعب أبيض أفراد ذوو قامات كبيرة أو صغيرة وشعور زاهية أو قائمة وعيون زرقاء أو سوداء وهامات مطينة أو عريضة وأمزجة باردة أو حادة وبيننا نرى بعض هذه الصفات متغلباً في شعب وغير متغلب في شعب آخر لا نجد في الصفات الطبيعية أو العقلية أقل معنى فتييز الفرد ونسبه نسب محدود مثلنا نجد في البشرية السوداء وشكل الوجه وتجميع الشعر من تمييز الحشي ونسبه لجنس محدود.

إن جميع التجارب التي جرت لإيجاد (شكل متوسط) خاص لكل شعب لم تجد أقل فائدة علمية. ولقد نكون قراءة أوصاف هذا الشكل المتوسط للنبذة قبيح فينا عاطفة حب

الذات لكنها في الواقع لم تخرج عن حد التخيل. على أن خطوط ذلك الشكل لو كانت غير خيالية ليست سوى رسوم ظاهرية في المرء - لا صنة بينها وبين حياته الداخلية - طبع على بشرته ويمكن أن تمحى عنها متى تقدم في العمر، إنها لا ترسم عليه إذا نقل وهو طفل إلى بيئة غير التي ولد فيها وعرض لتأثيرات جنسية غريبة. إن (شاميسو) مؤلف كتاب بطرس شيهل أو الإنسان الذي أضاعه ظنه كان غلاماً متأدياً أيام لم يكن يعرف من الألمانية حرفاً فأصبح بعد ذلك شاعراً ألمانيا يضاهي أكبر الشعراء الألمان الذين يزعمون أن دم الجرمان القدماء (ضيوف تاسيت) يجري في عروقهم والمؤرخ (ميتشه) ولا أعني ذاك الإفرنسي المتحمس بل الفيلسوف (الألماني) بما ظهر عليه من الصفات العقلية التي عدّها علماء الإنساني من ميزات الجرمان: كالحصافة، والجد الأدبي، حتى التعقيد في الإنشاء والمفكر جول دوبوك العريق في إفرنسيه - كان أبواه يفتخران أن بلمهنا الإفرنسي الخالص - وهو الذي اشتهر بكتاباته بالطريقة الأيديالسيه الألمانية خاصة، ودوبواريموند الإفرنسي الذي أصبح المثل الأعلى للعالم الألماني. أما تيودور كونتان فإنه لم يكن ألمانياً فقط بل ألمانياً شمالياً بتأملاته الطبيعية وتحليله للنفس. . . الخ الخ وهكذا قل عن أي شعب أوربي شئت فإنك تجد فيه مثل هذه الحوادث شيئاً.

من ذا الذي قرأ مؤلفات لوثر أولباخ وجين مولنر - مؤلفة رواية - وشولر وديتر ولا يعتقد أنهم إفرنسيون أقحاح؟ بل من ذا الذي لا يرى في مؤلفات هرتزنوخ وبيكر صفات الشعراء الأسبان؟ أو من يرى في دانتى شيئاً غير إنكليزي حاشا اسمه قد يكفي أن يعيش المرء في أمة ليقبس عاداتها وأخلاقها الحميدة والذميمة دون أن يكون بينها وبينها صلة رحم وإن ظهر لنا ما يناقض هذه الحقيقة في شخص بعض الكتاب وأرباب

الفنون فيجب علينا إذن أن نبحث عما إذا كانوا أو كنا نحن متأثرين بأحد مصدرين للخطأ يصعب اجتنابهما.

من البديهي أن نميل إلى البحث في شاميسو مثلاً عن صفات نلصقها بالإفرنسيين ظناً فوجدناها فيه والسبب في ذلك سرعة تغير صور الحوادث في أذهاننا فتطور طبقاً لما علق في أفكارنا من الصور الغلظة، ومن جهة أخرى نرى أن من المؤلف عند الشاعر أو صاحب الفن العائش في إنكلترا أن يبقى في رأسه فكرة وطن أجداده فيخيل إليه أنه من الواجب عليه أن يكون ذا أطوار تذكره بذلك الوطن وبسبب الاستهواء الناتج عن تلك الفكرة نراه لا يفتأ يغير في طباعه، - من غير أن يشعر - ويألف أطواراً أخرى صناعية حتى يكون ممثلاً لمواطنيه الأصليين، والمضحك في هذا الأمر أن لا يظهر في صفات بني وطنه الحقيقية بل ينتسب الصفات التي ينسبها الإنكليز عادة لمواطنيه خطأً فالجنس إذن لا يمنح حقاً في جنسية محدودة وما إن ابتداء الهوكنوت الذين هاجروا إلى مقاطعة (براد نيرخ) أصبحوا اليوم من أحسن الألمان وأبناء مستعمرى أمستردام الجديدة من الهولانديين هم الآن أمير كيون شماليون لا يختلفون عن الأمير كان الأصليين في شيء. فالهروب وكثرة المهاجرة مع حركة الأفراد وتقلبهم جمعت بين العناصر المختلفة في بادئ الأمر ومزجتها مزجاً غير قابل للاختلال، وجميع شرائع الأمم الممدنة ظهر عدم الاهتمام بصلة الدم بما تبدي من ضرورة الساهر في قبول الأجانب في تابعيتها وتجنيسهم بجنسيتها بحيث يكون لهم من الحقوق والواجبات ما لرعاياها الأصليين.

ولما كان أساس الجنسية المبني على الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) غير كاف، حاولوا أن يخترعوا لها أساساً تاريخياً قانونياً فقالوا: إن ما يكون الأمة هو ماض عام ومستقبل عام هو الحياة العامة في ظل حكومة واحدة وشرائع واحدة، وهو ذكرى أفراح وآراح

تقسيمها أفراد الأمة سواءً. هذه القضية عَنَى ما بها من الزخرف الخطابي إن هي إلا
 سطة يرفضها العقل مؤيداً بالحوادث. سل من شئت من الروثانيين - أهل غاليسيا
 - عنا إذا كان يشعر بأنه بولوني بالرغم من مشاطرة الروثانيين والبولونيين، منذ ينف
 وألف عام في حياتهم وشرائعهم وحكومتهم السياسية. واسأل أي (فيني) أو (سيومي)
 - كذا يلقبون أنفسهم - هل يتعبر نفسه أسوجياً فنندياً مع أنه يساكنه ويعيش معه
 تحت ظل حكومة واحدة منذ أكثر من ألف عام أيضاً. نعم عن اتحادهما في الشرائع وفي
 الحكومة ولاسيما في العادات وفي الأخلاق مما يستلزم تآلفهما وبنه فيهما عاطفة
 التضامن والتكافل. وعَنَى عكس ما يجري مع اليهود فإنهم قلنا تعتبرهم المم يعيشون في
 حصنها جزءاً منها. وذلك بأنهم لا يزالون متعنيين تعلقاً أعسى لعادات أجدادهم -
 كاستعمالهم الميقات، وتعظيمهم أيام الأعياد والبطالة، واحترامهم الشريعة الخاصة
 بالآكل واتخاذهم السكى. . . الخ - التي تخالف كل مخالفة قواعد مواطنهم المسحيين
 والتي من شأنها أن تنبه في هؤلاء عاطفة الاستقلال والافتراق عنهم. فمثل هذا الاتحاد
 قد لا يكفي لأن يؤلف من شعوب شتى شعباً واحداً ذا جنسية واحدة.

كلا إن هذا إلا تمويه لا تنبث الحقيقة أن تبدده، وما أندر أن يظهر منشأ الإنسان
 الطبيعي مرسوماً عَنَى محياه إذ القاعدة العامة تنكره ولن تقوى عَنَى إثباته. إنه لا يشعر
 به في نفسه، وكل ما قيل في حق (صوت الدم) ليس إلا سفاسف يني عليها القاصصون
 خيالاً لهم، وليس للشرائع والإدارات السياسية وحدها من القوة ما يكفي لتحديد
 الجنسية عَنَى ما لها في من التأثير في تهذيب أخلاق المرء. وما يحدد الجنسية في الحقيقة إلا
 اللغة. فيها وحدها يصبح الإنسان عضواً في جسم الأمة وهي وحدها تحوله الجنسية.

فنتشغل حق التشييل مكانة اللغة للفرد وحظها في تكوين وجوده وفكره وشعوره ومظهره الإنساني.

باللغة يتكيف نظر الإنسان حسب نظر الشعب الذي هذبه ورقاه وأودع فيه وفي تركيبه أدق حركاته الفكرية وارق خصائص عالم تصوراته، باللغة يصبح الإنسان ابن الشعب ووارث مفكره وشعراءه ومؤديه وقادته، باللغة يخفص المرء جناحه لأديبات الشعب وتاريخه بفضل ما يؤثران في جميع أفراد ذلك الشعب فيجعلانهم سواء في الشعور والعمل. حقاً إن اللغة لمي الإنسان نفسه، بما يدرك صفات الحوادث الكوني العامة، وبما يؤثر في العالم الخارجي، إلا وأن فرداً واحداً من ملايين الخلق يفكر بذاته وينسب تأثيرات الحواس عليه صوراً شخصية وسائر الملايين من الخلق تتبع ذلك الفرد عن بعد أو عن كثب، في أفكاره بما وصل إليهم منها بواسطة اللغة. كما أن فرداً واحداً يعمل، ويث مدركاته في الناس والوجود بأعماله الآمرة، بينا ملايين الخلق تنحصر أقوالها في إظهار ما وصلت إليه عقولها من الرقي. فاللغة هي أقوى صلة تجمع بين الناس. وأخوان شقيقان لا يتفاهمان بلغة واحدة تلقاهما غريبين أحدهما عن الآخر أكثر من شخصين غريبين التقا لأول وهلة فتبادلا التحية بلغة واحدة.

وقد رأينا الإنكليز وأميركمي الشمال يتشجارون فيما بينهم لاختلاف المصاغ ولكنهم سرعان ما يتحدون قلباً وقلباً أمام غير الإنكليز ويشعرون حينئذ بأنهم أبناء أبناء أم واحدة هي (بريطانيا العظيمة) ولقد اشتعلت نار الحرب واشتد سعيهما بين الهولنديين والفلمنكيين عام (١٨٣١) وهم اليوم على وشك عقد اتحاد إخواني كبير. ولما حارب البوير الإنكليز أو لما دافع البوير عن أنفسهم من مطامع إنكلترا السياسية كان قلب الهولنديين يخفق لهم الماص وفرحاً بينما كانت العلائق بين هولاندة وحكومة الرأس

(الكاب) قد انقطعت باتاً منذ قرن تقريباً. فلم يمنع استلاف الشرائع والعادات والأخلاق وذكر التاريخ من اشتراك بلجيكا وسويسرا الفرنساويتين (لغة) في الدفاع عن فرنسا في حروب السبعين. وعلى الرغم من كره النرويجيين الاحتلال الدنماركي الذي توصلوا إلى التخلص منه أخيراً وبقاء شيء من ذلك الكره إلى أيامنا هذه فقد رأينا النرويجيين إبان حروب (ملسويك - هولستين) يتألقون بحماسة إلى نصرة من لا تجمعهم بهم سوى رابطة صغيرة هي اللغة، وأعظم بها من رابطة.

وقد أتى على اللغة حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً وذلك حين كان الشعب في درك الانحطاط لا وظيفة له غير السخرة وتأدية الضرائب بينما كان الأمر والنهي في أيدي فئة قليلة من المستنطين. وكان يومئذ رجل الشعب لا حاجة له باللغة. وماذا تفيد اللغة، الأنين وصب اللعنات أو كتابة مزحات غليظة داخل مغارته؟ إنه لم يكن يحتفظ بغير رفقاته في القرية وهؤلاء لم يكونوا يعرفوا في اللغة أكثر منه.

أما السياحة والاغتراب ورؤية الغرباء فأمر غير معهود. وما كانت حكومة ذاك الوقت تعمل غير السوط تكلهم به دون أن تعتمد إلى النحر أو معجنات اللغة. وكانت الديار إذ ذاك بنقياً خالية من المدارس. وكان رجل الشعب المطالب بحق من حقوقه في احكام لا يستطيع الإفصاح عما يكمن صدره أمام القاضي فلا يرى ثمة وسيلة غير الاستعانة بمحام يدافع عنه وما كان مأموراً بالإدارة ليسفوا إلى مبادلة الشعب الحديث أو مطارحته الشؤون وكان الشعب في الكنائس يطفح قلبه بالعواطف العبدية فلا يقدر على الإفصاح عنها وذلك لأن الكنيسة كانت تمثل له الإله كسيد كبير أجنبي لا يعد إلا بلغة أجنبية - اللاتينية - بواسطة قساوسة علماء في تلك اللغة فلم يكن في حاجة لفرد ولا في وسعه أن يخرج من مأزق الحالة الوراثية التي نشأ عليها إلى محيط أفسح

مستعياً بالكلام. وعندما ظهر شيء من الاستقلال في بعض المدن والدساكر أخذ السكان يجتمعون فيتجادلون ويتناقشون في أمورهم وهناك كان للغة دور مهم إذ تفرق الناس شعبياً وقبائلاً بحسب اختلاف لغاتهم متنازعين فيما بينهم على السيادة والإمارة. أما طبقة الأشراف فما كانت لتهم باللغة لأسباب منها أن حقوقهم في السلطة كانت مضمونة لهم منذ ميلادهم. فكانوا سادة امراء دون أن يفتح الواحد منهم فمه أو يحرق قلبه. اعتبر ما حصل في أيامنا في إنكلترا التي لا تخلو تقاليد حكومتها الحالية من بعض عادات القرون الوسطى، إذ أن هولاندياً من سلالة (أيقوسي) - النوردراي - أصبح فجأة سيداً من أشراف إنكلترا أو عضواً في مجلس النوردات وذلك لخلو عائلته من وارث إنكليزي ذكر يرث هذا اللقب العظيم. . . بمعنى أنه أصبح ذا حق في الحكم التشريعي في المملكة البريطانية دون أن يكون مواطناً إنكليزياً أو أن يعرف كنية واحدة من اللغة الإنكليزية!!! ولما كانت بعض الأحوال العامة تضطر الشريف إلى الظهور كان هذا السيد يتكلم باللاتينية أو ينيب عنه أمير سره باستعائها.

في مثل هاتيك الأحوال كانت الجنسيات محدودة لأن اللغة نفسها كانت محدودة أما في أيامنا هذه فقد سارت الأمم شوطاً بعيداً حتى في روسيا والعثمانية فالفرد اليوم حر وله حق - مهما كانت منزلته - أن يرقى ويعلو المنزلة التي شاءت الاقتدار أن يولد فيها. أصبح العادل شفهاً والإدارة مفتحة الأبواب لكل الناس تقبلهم في أحضانها وتساندهم بعينها، وكذا المدرسة والجيش. وقد سهلت البرتتية على الشعب عبادة ربه بنقته واستماع التعاليم والمواعظ الدينية بها. فصارت مزاوله الكلام لازمة لكل حرفة ومهنة حتى اضطر أعظم رجال الدولة بل الملوك أنفسهم إلى تعود سهولة النطق وارتجال الخطاب. وهكذا اكتسبت اللغة مكانة عظيمة حتى أن كل عقبة توضع في سبيل

استعمالها أو كل ضغط يسهل استعمال غيرها من اللغات الأجنبية يشعر به الفرد كعار
الحق به وامتهان بشرفه.

إن من يعيش بسكنة بين مواطنيه في دولة يرتبط جميع أعضائها بجنسية واحدة والذي لم
يقع له أن يحمل من لغته أو أنكرها لا يقدر قينة تلك الجنسية مثله كمثل الذي لم
يشعر بمرض هل تكفي قراءة الأوصاف والأعراض أو قصص أنواع الآلام والعذاب عليه
لكي يشعر بها ويقدر مكانتها؟ . . أما من عاش في بلد مضطهدة فيه جنسية ولغته غير
لغة الحكومة ويرى نفسه مضطراً لتعلم لغة أجنبية لا يستعملها إلا كأجنبي - هذا إذا لم
يشأ أن يبذل شخصيته أو رفض الوظائف المالية أو التمتع بحقوقه المدنية في تلك الدولة
ليعيش كأحد عبيد القرون الوسطى أو كأحد المجرمين المحكوم عليهم بالخروج من
حقوقهم المدنية والإنسانية. . . هذا الذي يضطر للخنوع وتعفير الرأس أمام جنسية
أجنبية، يقدر مزايا الجنسية الخاصة ويشعر بها! ليس الحرمان من حقوق الشرف التي
تحكم بها بعض القوانين بشيء مذكور في جانب الحرمان من استعمال اللغة! ليس
تصفيد الأيدي والأرجل بالأغلال بأشد من عقد النسيان! هناك يحاول المرء أن يخرج من
سجن نفسه فلا يستطيع وتؤكد أن في إمكانه أن يكون بليغاً فيرى نفسه مضطراً إلى أن
يرطن بنسيان أعجمي. بل يرى نفسه محروماً من أقوى الوسائل الفعالة في التأثير في الغير
فيشعر بأنه مفلوج مقطع الأوصال!

إن المرء الذي يعرف نفسه لا يرضى لها مثل تلك الأحوال. ومن ذا الذي يقوى على
إنكار ذاتيته طائعاً مختاراً؟ بل من ذا الذي يرضى بأن يعيش عيشة خالية من أفضل
المزايا وأعظمها: وهي استطاعة إبداء مظهري رقية النفساني الشعور والفكر؟ نحن على
يقين بأن الهندي الوثني المعتقد يطرح بنفسه تحت عجالات مركبة (جاغزانات) طمعاً في

أن يحيا حياة أخرى أنعم وأسعد من الأولى، نعلم علم اليقين أن (الفقير) يأبى استخدام بعض أعضائه ويعيش سنين عديدة كنصف إنسان أو كإنسان متنبت وذلك لأنه يجد من نفسه دافعاً ومن النعم الموعود به مشجعاً إن هم قدم حياته لله قرباناً ولكننا لا نقدر أن نتصور أولئك الذين يولون جنيتهم الأدبار ويرضون باستعمال لغة أجنبية يرطنون بها طوال حياتهم بين استهزاء الآخرين بهم وخجلهم الدائم من أنفسهم وأما الذين يأتون بضحية مثل هذه جنياً أو عجزاً أو عن حماقة فعندي غنهم يستحقون الشفقة إلا الذين يبنون لغتهم أي - أنانيتهم - وذاتيتهم المفكرة ويتسربون إلى أهاب أجنبي طمعاً ينيل بعض المآرب فأولئك هم المذمومون المقوتون بل هم أذل (السكريزي) الروسين الذين يحرصون أنفسهم لا اعتقاد ديني أما الأولون فيحرصون أنفسهم عقلياً طمعاً بمال أو بما يوازيه. . حقاً إننا لا نحمد كنيسة تقوم بوصف هذا الانحطاط الأخلاقي.

ومن حسن حظ الإنسانية وشرفها أن أولئك الأندال هم الأقلون. إذ الأكثرية تصنع بلغتها وتذب عن جنيتها كما تذب عن حياتها. إن للشعب المستلظ أن يشرع قانوناً يجعل به لغته لغة الدول ويسقط لغة المغلوبين على أمرهم حتى تصبح خليطاً عاماً للسوقة لا يدخل المدارس ولا الكنائس ولا المحاكم ولا المجالس. فإن كانت اللغة راقية أو منتشرة في بلاد أخرى، ذات أدبيات وحظ واف في التعبير عن مظاهر الفكر سواء في السياسة أو في العلم فإنما لن نخضع لهذا العار. إذ تصبح الجنسية المضطهدة عدوة الشعب المضطهد تعض كفه الذي يحاول أن يكتمها به وتصيح مستصرخة تريد التكلم الذي يأباه عنه غاصبها وبعد اليأس تحاول أن تهدم بنياناً سياسياً كان سجنها عوضاً عن أن يكون منجأها.

قال أحد الهزليين الفرنسيين: لا وسيلة في الدنيا تقنع رجلاً تام العقل بأون يسئلك رأسه لتخز بالمصقلة (الغيتوتين) ونحن نقول بأنه لا شريعة في الدنيا تقوى على إقناع أو إرغام شعب راق يشعر بوجوده أن يتحول عن لغته وعبقريته. والدولة المؤلفة من جنسيات شتى لا بد أن تقع في منازعات وحروب داخلية لا تتأصل إلا بوسائل راديكالية أي إصلاحية مطلقة أهمها (اللامركزية) المطلقة بأوسع معانيها. لكنها ويا للأسف لم تخرج عن نظرية معقولة تخيلها بعض الساسة ولا يمكن تطبيقها على مجرى الأحوال. ولتصور القارئ إلى أي درجة يجب أن تصل اللامركزية، لكي ترضي جميع الجنسيات في دولة واحدة وينبزمنا أن نعرض لكل فرد الحق بتقنيد الوظائف العامة في جميع جهات الوطن وأن يشترك في الحقوق المسماة (بحقوق الإنسان وحقوق الوطني) دون أن يضطر إلى استعمال لغة غير لغة آبائه وأجداده فيجب والحالة هذه أن تستعمل في المصالح الإدارية - من مكتب البريد في القرية إلى النظارة - والعديلية - من قاضي الصلح إلى محكمة التمييز - جميع اللغات المتكلم بها في تلك الدولة وهكذا يجب استعمال جميع هذه اللغات في المجالس النيابية - سواء في ذلك القرى والأقضية والولايات - كما يجب أيضاً تأسيس مدارس ابتدائية وثانوية وعالية لكل شعب وبالاختصار ألا يضطر أحد لتعلم لغة غير لغته لنيل ما يناله مواطنوه الآخرون فهل يمكن القيام بكل هذه الواجبات؟

إنهم هذا الأمر مما يستلزم تقسيم الدول إلى أجزاء صغيرة ليس بينها أقل رابطة محسومة، إن مساواة تامة كهذه بين شعوب مختلفة في ظل دولة واحدة ليست ممكنة إلا بين أمتين فقط، متساويتين قوة كما هو الحال في بنجيكا حيث يوجد عشر أو اثنتا عشر أمة كما هو الحال في دولة النمسا والمجر - مختلفات في اللغة وفي العدد وفي المعارف لا

صنة بينها، متداخلة بعضها في بعض إذ ترى في القرية الواحدة ثلاث أو أربع أجناس ولغات وفي الولاية أكثر من ذلك. ولا بد لدولة كهذه من لغة رسمية والشعب الذي تكون لغته هي الرسمية يصبح وحده حاكم البلاد. وهكذا تعدم المساواة التامة وتمتحن الشعوب الأخرى فعيش عيشة منحطة. هناك ترى بين الأفراد الوطني التام ونصف الوطني ذاك تطلق الشريعة لسانه وهذا تقضي عليه نفس الشريعة باليكم. ومن يذكر تلك الأسطورة الألمانية (خرافة الغرايب السبعة) التي جاء فيها أن ابنة منعت من التكلم مدة سبع سنوات وأن شعباً كاملاً حرم من أبسط حقوق الإنسانية وأعلاها يجد أن هذه الخرافة أصبحت إدارة سياسية في أحوال لا تطاق كالتى وصفناها.

يعتقد بعض الخياليين من رجال السياسة أنه سيأتي على الإنسانية المتشدنة يوم لا ترى فيه من حاجة إلى الأوضاع الدولية الكبرى إذ لا حرب ولا أمور خارجية: هناك يؤلف الناس جماعات كبرى أشبه بعائلات كبيرة أو جمعيات محدودة يتنوع فيها الفرد بحريته لترقية نفسه ويتكفل جميع أعضائها بالمساعدة الأدبية والمادية الضرورية لحياة الإنسان ويكون كل جماعة مستقلين عن الآخرين إلا في المشاريع النافعة والالزمة للجماعات متعددة والتي لا يستطيع القيام بها مفردات فتتفق إذ ذاك تلك الجماعات اتفاقاً وقتياً خاصاً بالعرض والطلب. وحينئذ تلغى الجنسيات لأن الجماعات المستقلة تكون صغيرة جداً ومؤلفة خاصة من أفراد يتفاهمون بلغة واحدة. وقبل أن أقنع بإمكان تطبيق هذه النظرية في المستقبل فأنا أفضل نظرية أخرى وهي أن البشر ماداموا سائرين في طريق النشوء العضوي لا بد أن يستغفروا ذات يوم عن اللغة وعن الحركات الرمزية للإفصاح عن مشاعرهم فقوم مقامها حركة ذات الرؤوس التي ستخاطب الرؤوس الأخرى مباشرة بنوع من الإشعاع أو الثقل المستترا إني لأضع هذا النشوء الروحاني والك

التفهم الدولي في مستو واحد من حيث جواز الوقوع ولكن سنسنا جدلاً بإمكان حصول أحد هذين الحدين فهل نسلم بأن الزمن اللازم لذلك قريب كما يدعون؟ كلا إنه لأبعد مما يتوهمون ولا جرم بأن الأمم المضغوط عليها لن تقنع بهذا كما أنها لن تسلم باستعمال لغة عامة. قد يمكن أن يستعمل بعض العنساء الراقين في الإنسانية جمعاء لغة واحدة عامة لتبادل الأفكار فيما بينهم. ولكن من الصعب التصديق لأن أقواماً متفرقين يتحدثون على تعليم هذه (اللغة المدرسية) لغة العنم ويخنعون لحكمها وسلطانها إذا أراد الراقون في أمته أن ينقلوا الشبية أسرار العنم أو يريدوهم على أمر خطير أو يبدوا لهم ما توحيه ضمائرهم من تحليل أو تحريم فلا ينجثون قط إلى إلباس أفكارهم ثوب تلك اللغة الأجنبية التي تحرف أوضاعها، وتغير شكلها، وتضيق عليهم نطاق حريتهم.

بقي أمامنا دحض ما تقدم وسيلة واحدة من الوسائل الراديكالية الآتفة الذكر ألا وهي استعمال الشدة: إن أعمال التذبذب والتجارب الناقصة والضغط الضعيف قدما تفيد شيئاً في هذا الباب. لاسيما إذا كان المقصود اغتصاب منك أسياسي قديم يحتوي على جزء جوهرى من الذاتي كاللغة فالتنازع لأجل اللغة ليس إلا شكلاً آخر لتنازع البقاء فيجب أن يعتبر مثله: غما أن تقتل عدوك وإما تقتل أو أن تهزم! وتنازع الجنسيات ليس إلا تكسنة لحادث ظهر منذ قرون بل منذ ألوف السنين ثم سكت تأثيره مدة فقام اليوم من رقدته ومشى مشية سريعة نحو الختام. ولست أرى أن يسأل كيف اختنطت الجنسيات المختلفة وتدخلت بعضها في بعض؟ وهناك الجواب: دخل شعب غازياً بلاد شعب آخر فلم يطرده منه بتاتاً بل بقيت فتات من الشعب المغلوب بين الشعب الغالب، أو أن الشعب الغالب كان أقل عدداً من الشعب المغلوب فلم يبق منه إلا فئة

قليلة. هنالك يشتد التنازع بعد أن كان ساكناً فيضطّر الشعب الغالب لأن يستجمع آخر قواه ليدفع عنه الشعب المقهور أو أن يعدمه اديباً بحرمانه من لغته بالقوة الوحشية النهم إلا إذا فُضّ الشعب المغزوف فجأة مدافعاً عن نفسه فيطرد الغازين خارج بلاده أو يضطّره إلى نبد جنسيتهم.

ولقد تأتي الحوادث على صورة أخرى كان يترج فريق من شعب عن ديارهم لأنها لا تكفي لعيشهم فيقطنون دياراً غيرها. فإن كانت هذه الديار خالية في الماضي ثم شاركهم في احتلالها مهاجرون من شعوب أخرى فلنحتلين الأولين أو يعتبروا الجهاد في سبيل لغتهم جزءاً من جهادهم في تهديد العقبات الطبيعية إذ أرادوا إنشاء دولة تكون لهم منجاً حصيناً ويجب عليهم حينئذ أن يدافعوا عن أنفسهم خصومهم كنا يفعلوا بالمستقعات والسيول والثلوج والمنحدرات والحر والوحوش الضاربة والجوع والبرد وأن يعتبروا المعيشة الطيبة التي لم يظفروا بها في بلادهم والتي صادفوها في غير وطنهم كثرة لتغلبهم على جميع العقبات الطبيعية البشرية بعد أن عرضوا في سبيلها حياتهم. أما إذا كانت البلاد التي استوطنوها آمنة من قبل فيجب عليهم أن يعرفوا الشروط التي بها نالوا الضيافة. فإن كزان من تلك الشروط أن يندوا جنسيتهم وكانوا قد رضوا بذلك فضعفهم وجبنهم لا يستحقان الشفقة. ولمضيفهم أن يرغبوهم على التنازل عن لغتهم وذاتيتهم لقاء الخير الذي يجودون به عليهم. وغداً إذا كانوا قد احتلوا جزءاً من بلاد أجنبية دون أن يؤدوا ثمناً شائناً لها الاحتلال فيقتضي أن يكون عندهم الآن من الإدارة والقوة ما يمكنهم مما كان يجب عليهم فعله في بدء احتلالهم لو قوبلوا بالعداء فأما أن يبرحوا الأرض حالاً وأما أن يفتصبوا بحد السيف قطعة من البلاد أو أن يقيموا في تهور كانوا عاجزين عن الخروج منه.

عنى هذه الصورة تتشبه أمامي مسألة الجنسيات فهي كالفصل الخامس الأخير لقصر تاريخية محزنة بما بعضها من زمن هجرة الشعوب وأكثرها بعد ذلك بكثير وقد طالت فترة ما بين الفصول لكنها لن تدوم، فالستار ارتفع والكارثة على وشك الوقوع، إنها ستكون شديدة قاسية وكذا تكون مقادير كل كائن حي إذ الحياة جهاد لا رحمة فيه. وليست هذه مسألة حقوق بل مسألة قوة في أعلى وأعظم معانيها. وما من حق يضطر الكائن الحي للتنازل عن الأسباب الضرورية لحياته، ولا يمكن ذلك إلا بالقوة، والقوة تسبب الدفاع والمناعة. وهل يطلب من الأسد أن يبرز صكاً يحوله الحق في افتراس الحمل. السد يقتصب الحمل اضطراراً وهذا مبدأ حقه في افتراسه. لا جرم أن لنحصل الحق بقتل الأسد إن قدر عليه. . . وحيثما تكون الحياة أو يماثلها معرضة للخطر يتساوى الحق بالقوة وهذا ظاهر حتى أن الشرائع البشرية جميعها تبيح للفرد الدفاع عن نفسه أي أنها تسمح له في بعض الأحوال أن يستعمل القوة في الدفاع عن حقه. أوليست الحرب حالة من حالات الدفاع عن النفس بين الشعوب لا بين الأفراد؟ إذ رأى الشعب ما هو ضروري له مد يده لا متلاكه وحقه في هذا الشيء هو عين الحق الذي للسد في افتراس الحمل. فإذا شاء شعب آخر منعه فيجب عليه إذن أن يعارضه بالقوة بنفس الحق الذي له أيضاً. ولا وجه للمغلوب بالشكي مادام له الحق بإعادة الكرة مرة أخرى. فإن قهره نهائياً وأضاع الأمل بالقوة في المستقبل وجب عليه أن عن القضاء قاتلاً: خلقت حملاً فيجب أن أعيش عيش الحمل، حبذا لو كنت أسداً! ولكن من الحق مشاكسة الفطرة لأنها لم تخلفني أسداً.

إن الشعب الذي يراد نزع لسانه لهو في حال الدفاع الشرعي ذو حق في المناضلة عن آثمن ملك لديه. لكن إذا لم يثب قادراً على الدفاع فلا يحق له التذمر والشكوى. كما

أن للشعب المتسلط أن لا يدع الضعف يتطرق إلى لغته بوجود لغة أخرى في البلاد وأن لا يسمح بما من شأنه أن يفتق راحته في المستقبل. فإن لم يقدر على الحفاظ حقه بالقوة فعليه أن يعترف للشعب الآخر بتساوي الحقوق فيما بينهما وأن يهبط عن تلك المتزلة العليا منزلة الشعب المتحكم، وإن كان تحكمه شرطاً من شروط حياته فاحكم عليه بالهلاك. وعني لأطبق هذا الحكم بدون تمييز على جميع الجنسيات المتنازعة كالألمان في هنغاريا وبوهيميا وكالدغاركيين في مقاطعة شنسويك الشمالية وكالبولونيين في بوزن وكالرومانيين في ترانسلفانيا وكالإيطاليين في طارانت. لنخنة ملايين من آخر في هنغاريا الحق بصنع الحد عشر مليوناً من الشعوب الأخرى بصفة أجريّة. فهم يتنون الفتح الذي بدئ به سنة ٨٨٤ من عهد (إرياد) ولكن للألمان والسلافيين والرومانيين في هنغاريا نفس الحق في الدفاع عن أنفسهم وإن قووا يوماً على آخر ونزعوا عنهم جنسيتهم فليس هؤلاء إلا أن يقبوا ما كجأ لهم القدر الذي قادهم منذ ألف عام إلى الزوال على بلاد أجنبية كادوا يخسرون فيها حياتهم. وللتشيك أيضاً الحق بتأليف دولة مستقلة لا يقبلون فيها أحداً من الألمان وهكذا يستعيدون عهد الوقاع الدامية التي حدثت في مارش وفي الجبال البيضاء وللألمان الحق بأن يقاوموا بقوى أشد من أقوى التشيك ويصنومهم حرباً تالفة ترميهم لهم أنهم ليسوا أقوياء على فتح بلاد خنوما منذ اثني عشر قرناً دون مقاومة.

لا بد لوربا أن ترى مرجل الجنسيات ينفجر انفجاراً عظيماً هاتلاً عندما يأتي دور تصفية الحساب والفرق المتعثرة من كل شعب إما أن ترجع إلى أصلها فتتف حولها وإما أن تتصخره وتتجده فتتصر بمعونته على الشعوب التي تسد بها. ومصير الشعوب الصغيرة التي اكتسحت بلاداً بالاشتراك مع غيرها إلى الزوال إن لم يكن لها من قومها

عضد قوي يساعدها على الثبات أمام جيرانها الأقوياء. هناك لا تثبت إلا الأمم الكبرى، ومن الأمم الصغرى من تستطيع تأسيس دولة مستقلة بطرد أو محو مائر العناصر الأجنبية التي تعيش بينها.

وقد لا يمضي القرن العشرون قبل أن يشاهد ختام هذا المشهد التاريخي. بل سترى أوروبا منذ الآن إلى ذلك اليوم العصيب شروراً كثيرة ودماءً مهدورة ومظالم عديدة وقساوة بربرية فتسحق شعوب وتحمي أقوام بدون رحمة ولا شفقة. وتبدوا أمام هذا التسفل البشري مظاهر شجاعة عالية: هنا شراذم أنذال يخضعون أديباً بدون مقاومة وهناك أبطال يشربون كأس الردى ممزوجة بالغز والشرف. وبعد كل ذلك تصنع الأمم الباقية بحقوقها الوطنية لا يرون فيها غير أنفسهم. إنها لنظرات مرعبة تتراءى لنا لكنها قننا تخيف من استعداد لتحمل قساوة ناموس الحياة العام: الحياة جهاد وقوة الحياة تكسب الحق فيها. وهذا الناموس سار على الشسوس في الأفلاك كما هو سار على المكروبات في مياه المستنقعات وهو جار أيضاً على الشعوب يدير مقاديرها إدارة لا تقوى على تغييرها شريعة غاشة ولا سياسة قادرة ولا مصلحة منكية ولا خيث أنذال ولا تلاعب لؤماء.

ولقد تدمع عين ذي العاطفة حينما يرى شعباً يجود بنفسه. أما ذو العقل فيعترف بأن هذا الشعب هنك لأنه لم يكن ذا قوة تكفيه للحياة ثم يضع هذا الشعب بين الأشكال البيولوجية (الحيوية) المغلوبة على أمرها والتي مر عليها نشوء الكون.

نقد كتاب البنين

لا تتجاوز عدد الكتب التي عرفت في سورية منذ انتشار حرية المطبوعات عدد الأنامل وكتاب البنين تأليف بول دومر من رجال السياسة الفرنسية هو من أنفع الكتب

ولذلك أحسن عبد الغني أفندي العريسي أحد صاحبي جريدة المفيدة في نقده إلى هذا
النسان العربي وقد قدمه إلى رفيق بك العظم فقدم له صديقنا هذا مقدمة في علم
الأخلاق عند العرب وذكر ما كتب فيه عنناؤهم وعرب فيه حديثاً إلى لغتهم أجاد فيه
كل الإجادة.

والكتاب تأليف رجل جرب الأمور فقال عن تجربة أكثر مما يقول عن علم نظري فسنه
إلى أبواب الباب الأول في الإدارة والمنكة والواجب والإقدام والسعي والعمل وقديب
الأخلاق والعدل والإخاء والحرية والتسامح وقديب العقل وتأثير الأخلاق في الجسم
الباب الثاني في ذوي القربى والأرحام وأخبة والوداد والزواج والبنين والسعادة والشراء
ونقص الأنفس الباب الثالث في الديمقراطية والدستور والواجبات الوطنية والمساواة في
الحقوق وأنواع الحرية والتعليم والتعاون وتدارك البؤس الباب الرابع في حب الوطن
والفسطائين وهذه الأمة وقوى الوطن والحرب والجنس البشري.

لا نعم الطريقة التي جرى عليها العرب لأن الكتاب الأصلي غير موجود لدينا لنقابل
بين الأصل والفرع ولم نره منذ أن عربنا عنه يوم صدور مقالة في السنة الأولى للنبقتيس
عنى سبل النموذج ثم رأينا مجلة أنيس الجليس في الإسكندرية قد عربته أو أكثره
ونشرته تباعاً والغالب أنها لم تنشره عنى حدة وقد لاحظنا العرب قد التزم التعريب
بالمعنى إلا في مواطن اضطر فيها إلى متابعة الأصل فجاء عنى تعريبه بعض الجمل شيء
من الاضطراب.

مثال ذلك تعريبه (ع ١٣٥) لأبيات فيكتور هوغو بقوله:

عهدنا إلو ضنا عمننا ... ما حبا العبر لسن الأربعين

عهدنا إذ ييسم الدهر لنا ... عن ثغور ملوها عطف ولين

عهد أيام كان بها الشتاء ... عينا كربيع الياسمين

وكذلك تعريبه أبيات هوغو أيضاً (ص ١٤١)

إلهي لا تصب جمني بسوء ... ولا قومي بشر متطير

ومن على أحباتي بنطف ... وآبائي وإخواني بخير

ولا ترزأ بمكروه عدوي ... ولو أنحي بمكروه عسيري

ولا تجعل بلا زهر ربيعاً ... ولا قفص الطيور بلا طيور

ولا تدع الفقير بغير محل ... ولا بيت الفتاة بلا صغير

وأقسم من هذا تعريب بيتين لنادو (ص ١٢٢)

ألا أيها الطفل الودود ألا ارحل ... فأنت من الأوهام حنم تنذ لي

زعت بحب للأمينه صادقاً ... وما حكم للامهات بأمثل

ومثله في (ص ٥٨)

خدموا بني أوطانهم فقصوا ... شهداء فيها للوفاء وحبا

ففرروا الزهور على رموسهم ... فلقد حكوا بوفاهم العربا

وأنت ترى الضعف بادياً في هذه الأبيات وكان غنى العرب أن يعرب المعنى ويكتفي به

أو يدفع المعرب بالحرف إلى شاعر كبير يعربه له بنظم سنس لا غبار عنه فإن الشعر

كالموسيقى والخطاب العام والتصوير لا يستحب فيه إلا المفرط في الإجازة كما قال

لابروير العالم الفرنسي في مقدمة كتاب الأخلاق.

ثم أن المعرب أقحم عبارات في متن الكتاب ليست منه كما فعل في صفحة ١٠١

فوقف موقف المؤلف وعدد الكتب التي يجدر بالفتى العربي أن يتلصصها ثم أقحم جملة

فيمن وقع اختياره عليهم من رجال العصر الحاضر ومن الشعراء الغابرين والمعاصرين

ومن المؤرخين القدماء والتحدثين فهذا الإقحام غير محمود خصوصاً والقارئ يجب أن يرى ما يقول المؤلف فقط أما المعرب فإذا كان له فكر خاص فيما عليه إلا أن يؤلف رسالة خاصة في الموضوع تكون أوقع في النفس لأنها تعرب عنا خصصت له إذ ربما تغير حكمه الذي أصدره اليوم غداً أو بعد غدٍ وهذا لا يجوز في كتاب الخلاق يتداوله الناس الجيل بعد الجيل.

وقد رأينا الكلام مخطوماً (ص ٢٦٢) عند كلام المؤلف عني العرب ودينهم اكتفى المترجم بوضع بعض أصفار دلالة فيما نحب عني أن هناك جُداً لم ينقلها وكان الأولى أن تعرب بالحرف ليطلع عليها القارئ وإذا رأى المعرب أن المؤلف خرج حقيقة عن الصدق يذيل عليه مما يعنم في أسفل الصحيفة فإنة الأمانة تقتضي بأن نقل الكتاب برمته وإلا فيسبى تعريياً له مسخاً أو كما يسميه الإفرنج.

وقد رأينا المعرب يتوكأ على العويص في الأحيان فيعمل الفصح الجديرة بالاستعمال لتلقفها ألسنة الطلاب وأقلامهم فيدمجوها في تضاعيف منشأهم ولذلك جعل في آخر الكتاب جدولاً للألفاظ اللغوية وتفسيرها بما يرادفها. ومع حرصنا على نشر الفصح كنا نفضل لو عري هذا المعرب من كل ما يشوش ذهن القارئ ويحصره في الاستفادة من الفكر الجديد.

قبلاً من أن يعتمد الفتى أو الفتاة إلى المعجم ليرى فيه تفسير ما ورد (ص ١٥٧) من معنى جنجالان القذب يكفي المعرب بأن يقول حبة القنب أو سويداؤه وما تخال أحداً من البلغاء القدماء استعمل هذه النقطة المتنافرة الحروف مثل مشمخر ومشتزرات وسجنجل التي نصر عليها علماء البيان وحرصوا على إطرأها في الاستعمال لمناقمتها الفصاحة ولأن في اللغة ما يقوم مقامها.

وقد وقعت لشعوب ألفاظ كررها في الاستعمال مثل تلايب جمع تليب وهو جمع الثياب فاستعملها في استعارة غير لطيفة كقوله (ص ٣٠) (التي كتب لمن أخذ بتلابيها السعادة) وقوله (ص ٢٠٤) قائم بين أسرته بتلابيب التهذيب والعلم) وص ٢٣٧ (أخذت بتلابيب الترقى).

وسقط المعرب على بعض الاستعمالات البعيدة أو المنافية لروح الفصاحة والنغة مثل قوله (ص ٣٢): (لا تجدي لأعصابك) والأحسن تجدي أعصابك. وفي (ص ٣٣) (فلا يدع في أعماله للصدقة محالاً) والأولى أن يقال للاتفاق لأن الصدقة لم يرد بهذا المعنى ولذلك خطأوا من قال: في عصف الدهر عصف الدر وفي ص ٣٤ لكان بوسعها والأولى أن يقال لكان في وسعها وقد ورد هذا الاستعمال في عدة محال من الكتاب وفي الصفحة نفسها (يفضي إلى فتى متطورة ومحن معقودة) وما نطن الصفة الثانية مما سبق استعماله وفي ص ٣٧ (تمسك منه مواس الخير) (عمل يخلص عنك لمنفعة الناس) (يدأبون فيها يلوون عنها) (فيعى في مصنعة ذرارية) ولفظ مصلحة وقعت للكاتب غير ما مرة وهي من استعمالات جرائد مصر.

وفي ص ٣٨ (أصبحوا بمكان الظنة والتهنة) ولعله يريد الظنة (لا يخرجون أن يخرجوا في أمرهم ويرم بهم) (فعلى المرء متى جبه الواجب مصنحته أن ينأى عنها) ٤٨ (حياته أن

يستقيم له الوجدان) ٥٠ (فإن الواجبات تتضارب كثيراً مع بعضها) والأولى بعضها مع بعض ٥١ (فمن كان يتمك بخذافيه يتمك بالأثرة الحسنة) ٥٤ (أي رجل كب على عنه) الأولى أكب ولعله من غلط الطبع الذي وقع كثيراً في الرسم والحركات مثل تشرب إليها النفوس) والأولى تشرب ومنها (أن يناوى كل مكروه

ومرزية ومخوفة) ٥٦ (أخذه رابط الروح) ٥٨ (يحذر أن يكتب على صفائح ضرائحهم) ٦٥ (فقد أربي فيها رجال القول وأصبحوا بمكان ثقة من البلاغة حتى امتدحوا منذ قرون مدحاً عرفوا كنهه أيام الخور) ٦٦ (لا تدخنه سامة من دؤب ولا إعياء من لغوب) والإعياء والغوب يكاد يكون واحداً وإن كان الغوب أشد الإعياء وفي الصحيح الغوب التعب والإعياء ومثله في النهاية والغريين وما ساق إليها إلا التفتية ومثله (بدرت منه بادر تزع إلى البطالة) ومثله ١٢٤ (فتق بعاتدة من عطف وإحسان من رحمة) ٩٦ (حتى يساهم بديته بدء) لعنه بادئ بدء أو بدأة ذي بدء ٧٠ (لعنوا وأقدموا حزماً. فإن طيب الحياة ورغد العيش ليس لمن كان غنياً منكم. . . فاعنوا كداً كداً لأنفسكم ولنويكم ولأمتكم فتروحووا النفس وتسروا خاطر) جميل ركيكة ولا سيما أقدموا حزماً واعنوا كداً كداً.

٧١ (ومن ثم تطحن نفسه فلا يستشير ميازين الجو) ٧٢ (وهكذا الحال في النهاية) ٧٨ (فإلى من نزعته نفسه إلى أن يتزبي بما هو ليس من أهله) ٨٠ (ومن الضرورة أن تنحق بهذه المعالي مداني نستكف منها ونعرض عنها إلا وهي الخلطة والخلاعة. . .) (فعلى الفتيان أن يجزموا فيحترسوا من الخنود إلى هذه المذات) (لأن من اعتر أن يأكل مطاعم تواينت لا يستند بعدها بمطاعم غيرها) ٨٣ (لكنها راحة لنفس) ٨٧ (واتخذ كل عضو من بني الإنسان أخاً لك توده على السواء فلا تضمر لأحد منهم وحرأ ولا لأية أمة وغراً ولا داعي له ولا مياً).

٨٨ (نارت نأرقاً فحاصت ولا بت حول الأمم) ٩٦ (فالعقيدة أمر خاص بالوجدان يجرح ولو بخفيف المسى) ٩٩ (ويقدموا بيقظة انتباههم على مستقبلهم) ١٠٠ (ينبغي

- لنساء أن ينظر فيها نعتاً حتى يتشرب عقله بها) ١٠٣ (إن العمل خير علاج لكراته
- الحياة) ١٠٨ (فالرياضة واجبة لسداد الجسم نسعى إليها همة لا تفر ولا تستحر).
- ١١٠ (المرضات اللاتي يلزم المصاح فإنهم يتعرضون للأمراض المعدية والأوبئة
- المشؤومة ولا تنق لهم أذية. . . فمن لم يفتأ عن أن يتداعى المرض ويتوجع نحو إلى
- المصائب وحواضر النوائب ويحاذر من طوارئ الخطار) ١١٥ (غاب عني هذا الرجل
- بضعة سنين) ١١٧ (فالأمم العظام والممل الشداد).
- ١١٩ (يطالب اليوم بعبادة الناس الذي نسل منهم. . . ولم يسئل آباءه إلى أجداده)
- ١٢١ (واجب يتحتم علينا منذ نستمد الحياة منها) (وتكاداً) (كبداء) الخطار لدواعي
- صحتك وصلياً بالشاق في شؤون تربيتك) ١٢٢ (المودة تضند جروحاً المصائب
- الأولى جراح أو جروح.
- ١٢٣ (سلاماً ورحمة أيها الأبرار! فقد قضيتما الحياة على القناعة في بيت حقير) (أما
- داخليني حماسك) حماسك.
- ١٢٥ (ولا ترأف بنفسك عن محامد) لعنه ترأف أن ١٢٦ (دينوا أبويكم أيها الناشئون
- كما داناكم بحب خالص) (سنة مطلق حكمها شديد وطأها) (وطؤها) وودوا فإن الوداد
- سحية رقيقة الجانب يوقع بها كل ناشئ ويواقع أمرها).
- ١٢٩ (فيحدوا عنه أكاذيب العواطف) (فإن الصبر ليأزر وإن الكراهة مع تداول الأيام
- لتزول) ١٣٠ (وليكن من الود والعقل إتحاد يسبك أيها الفتى جنات الصواب).
- ١٣١ (على الرجل أن يأوي بأوي المرأة تحت جناحه) ١٣٢ (وليس بقصد من إبداع
- الحياة إجماد بين فقط بل تربيتهم وتمكينهم من القيام حقه في شؤون الحياة وجعلهم
- رجالاً رجالاً).

١٣٢ (إن المرء لا يصدر عن الزواج إلا رجاءً أن ينقذ عن اكتاده مهام الأسرة) ١٣٧ (لم يكن أمهات أو كن إلا أنهن اضطررن إلى . . . انحطت الخطايا ليس بعده من الخطايا) ١٣٨ (وعلى المرأة الفرنسية) (إلا وأن الانتظام بين المصاريف (النفقات) والأرباح لأمر تطليه رفاهية الحياة) ١٣٩ (فتصبح مثل سافل أمرها عرضة لكل المثالب والمعائب).

١٤٣ (أحاجتهم لنسعي أشحنوا وأحضاوا نيران شجاعهم) ١٤٧ (لو لم يثبت ذلك بالبرهان أو بدء) (نوجع أعلاق قلوبهم إلى أمهاتهم ونجعل كعية تقهن فيهن لأن للام تأثيراً عليهم أقوى من تأثيرنا لرفقة عواطفها) ١٤٨ (وإن في البنين زروح عظيمة تناسب النساء مناصبة تفيدهم وتروضهم على أعمال الإرادة تحت ظل الأم بدون أن يتفيل حزمهم) ١٤٩ (وتأهل فلبا البنين يوردهم وليس للثراء ولا للفقر يد على السعادة) (فإن قلت ذات يده عن حوز طيب الحياة فقد شقت عليه حياته وتعاضته أوقاته. . . لأنه ما دام قاصراً على تنمية مورده مادام الفقر يدقعه ويذهب من جميل أنسه بأسرته).

١٥٠ (بيد أن الثراء وإن لم تكن به السعادة أداة ذات بال للنسعي بغيته، ولا بدع، سواد الناس، لأن من الحكمة أن يدأب المرء) (إن لا سعي له ولا عمل للحصول على المال مساق (مسوق) بالطبع مع الذين) ١٥١ (بل عليه أن يكون في كل الأحوال بسيطاً في حياته قائماً ؟) (أسرته) (يقنع بما بين يديه ويوافق مورده ومعاشه على الدقة وتقدير المتولة فإن من كان مورده مساناً (مسانة) خمسة آلاف ليرة ومصرفه (نفقته) خمسة آلاف وميتين وخمسين ليرة كان فقيراً يتدرج إلى السامة والمشكلات).

١٥٢ (إن من يقطع عن الناس شوايك العلاقات علائق الذات والأسرة) ١٥٣ (واعلم أن للعلائق والتعارف مع الناس سيئات أكثر من حسنات) (واقضوا أوقات فراغكم في

(المزول) من التعبيرات الإفرنجية الأولى إبداءها باعترفوا واقطعوا وما شكل ذلك ١٥٤
(ولا قدامنوا في زخرفة الأثاث فيقولن أحدكم إني معيل لا قدرة لي عليه ففي سعة
(وسع) كل الناس فقيرهم أو غنيهم أن) (أو تكنف في زينتها أو تماجن في صنعتها).

١٥٥ (تزيد المشرة وتزن الجسم والأخلاق) لعلها تعدل الجسم.

١٥٨ (إذا ضربنا صفحاً عن بلاد الروس المختلفة أصولها الجهولة مكانها في ذلكم
العهد) (مضى على ذلك التاريخ ثلاثون ربيعاً) الأولى سنة لأن الربيع بهذا المعنى لم يرد
في شيء من كلام العرب (بيد أن الأنفس فيها مازالت تزداد بذلك الحين ولكن في
التناقص عن بقية الأمم) (ثم دهمي الأمة الفرنسية سنة ١٨٧١ فقد ولايتين الإنزاس
والنورين تبلغ مساحتهما ١٥ مليوناً ونصفاً من الكيلومتر المربع) الصواب ١٤ ألفاً
وخمسة كيلومتر مربع ١٦٠ (الأنفس تزداد لدى جميع الأمم ودمنا على موقف
الجسود) (والإنكينز الذين لم يكن لهم في ذلك العهد إلا ثلثي ما للأمة من الأنفس).

١٦١ (هذا إذا أخذنا بلاد الغال والإيقوس (إيكوسيا) وتركنا بلاد إيرلاندة على
معزل) (نقطع دابر الأمل من) استعارة غير حسنة (عرضة للاحتقار وموضع
الصغار) (لا مزية إن سئلهم مادتنا الشعوب وتحتجهم عنصرنا شعوب) ١٦٤ (ولقد
كان في استطاعتهم ألا يحيبوا سنة الوجود) (وأظن إن كان في الأعصر الحالية قبل وضع
التاريخ رجال سفسطة).

١٦٥ (إلا أن هذا لا يكون طباب (ما يطيب به) لقص الأنفس فإن طبابه في الحمية
الوطنية) (رُلقت على أحاديث الانحطاط وأشفاء الموت).

١٦٨ (مبادئ لا يجوز لأحد أن ينكر عليها) ١٧٠ (تنقل هذه الصلاحية إلى أحد)
والصلاحية كنيسة لم يسبق للنبع استعمالها وهي من مواضع الأتراك تسربت إلينا من

الترجمات والصحف والأولى استعمال اختصاص أو سلطة (فالديمقراطية والأريستوقراطية عرقنا في قلوب العالم) (كبرياء المتنفذين) ليس في اللغة تنفذ ١٧١ (إن كل المظالم ثقينة على النفس مكرومة لدى النفس) ١٧٣ (فاستدعى ذلك إلى توحيد القوى) والأولى دعا ذلك ومثله ص ٢٦٢ (يستفع منها أكثر من ذلك) والصواب ينفع فإن السين الطلب غير مقبولة كل حين.

١٧٤ (كما وأنه لا يخلو) كما أنه (على ما يظن البعض بل سارت في بلاد أوربة أبعد من ذلك فازدادت المصلحة العامة إلى درجة ألزمت الحكومة لتكثير الدوائر. . . مما يعود بالنفع على عموم أبناء الوطن والأحسن) بعضهم بدل البعض واضطرت الحكومة إلى تكثير بدلاً من ألزمت ويعود بالنفع على عامة أبناء الوطن بدلاً من عموم.

١٧٦ (لا تكون فيه الحقوق مضونة مصانة) مصونة.

١٧٧ (فحكومتنا أصبحت بالتالي حكومة ديموقراطية) فبالتالي استعمال إفرنجي (فهى لا تضرب خناقاً على الحياة ولا تقف دون ترقى الأمة) ١٨٠ (جرحات الديموغجية) والأولى تعريبها هكذا نضار مماشاة العامة على أهوائهم أو خدمة العامة أو ما شاكل ذلك ١٨١ (يتحمل تبعات أعمالها ودركات أمورها ويستل عن مصيرها) (فيقرع صفاقن أن تواقعوا إلى الوهدة ويشنع على زكنة السوء) فسر زكنة السوء بأبناء غير صالحين ويقرع صفاقهم يتقصهم ويعيهم وتواقعوا إلى وقعوا وراء بعضهم والجملة بدون شرح لا يفهمها إلا الحريري والمعري على تكلف في وصفها.

١٨٦ (رضاء مجلس الأعيان) والصواب بدون همز ١٨٧ (ومن ثم يصح لهم أن يخلوا غويص غويص الأمور السياسية بسكينة روع ويهتسوا قبل كل أمر في مصنة بلادهم

حتى إذا حفظت هذه المصلحة التفت كل منهم إلى مصلحة حزبه وقد ينبغي حتى في مصلحة الحزب أن يكون. (فالأوجب في الأمور السياسية مهنا كان صنياً متنبساً متضارباً).

١٩٠ لأن الوائف والمناصب هيكل لجسم هذه الأمة المتمددة الممددة أو المتحضرة (إذاً عرض له قرح طراً الداء).

١٩١ (في مسألة تعيين أولياء الأمر وأن يقبضوا عني وجدناهم يستشيرون بتلك القضية قبل العزيمة).

١٩٧ (أن في ذلك ميباً لحرية السعي) ١٩٨ (حجز النساء عن التعاطي في المعامل) ٢٠٤ (أخذت من قنوقهم شطراً كبيراً يعنى في حبيها).

٢١٥ (أتى عني حاضر تكدر صفوه وجابه مستقبلاً خفي كنهه) ٢٢٠ (رجعوا فيها ودايموا النظر ولا تخشوا) (ولو كانت منقراً ألفاظه خشونة وأعمالها غلطة) ٢٢٢ (ناقع القلب من أقدامهم مبرود الغليل من شجاعتهم) ٢٢٤ (متى اعتقد الأغيار) جمع غير هي من استعمالات الأعاجم فيقولون بار أي اخب وأغيار أي العدو ومهم سرت إلى بعض كتابنا (فاستفرغ العقل وهز القلب ورق دمنك ولا تضح بقطرة منه صيانة لحياة الأمة وتعهداً لمصلحة الوطن) ٢٠٥ (وكننا كان الامتناسك شليداً متراصاً كانت الأمة عني عظيمة وسودد) ٢٢٦ من جري ما بث به السفسطائيون (فأدودا بهم تحت أيدي البرابرة أيداء هود اليم منحهم الله أكتافهم فألبسهم قناع القهر وطوقهم طرق الذال وتطوؤهم بحر القتل) (نستدفع ما يقعر العنصر فإننا لا تزال أمة مستبصرة باقية النسيم غير نازعة إلى الموت).

٢٣٠ (مرارة سخريته من هؤلاء السفسطائين) والمرارة هنا مثل عقاب مر لم تألفها لغة العرب العذبة (في الأجيال الآتية) أي القرون والجيل غير القرن (الأوان خير أمة أخرجت للناس أمة نشريت الوطنية حتى الكفاف) ٢٣١ (بغير تشدق ولا جدل ولا حنجة إذا نادهم منادي الوطن) ٢٢٣ (إقليم مرمعنان تنازع يواز العزيمة ويستتب خفض العيش ورغد الحياة) ٢٣٤ (ثم لاحت بين ظلامته هذه الأعصر بارقة عقل وشارقة عدل) (ثم تماسكت الأمة فرتقت الفتى ورأفت الحرق) ٢٣٥ (لكن النائرة قد نارت والقائرة قد فارت).

٢٣٨ (فأصبحت والألمان يفوقها بعشرين مليوناً على حين أن أرض الأمتين متساوية في المساحة والإنكليز بثلاثة ملايين على أن ربوعهم لا تكاد تعادل نصف ربوعنا).
٢٤٠ (يدفعانها إلى أن تهض من أغصن الهوات إلى أعلى الدرجات) (وادأبوا أيها البنون في مصلحة الوطن ومجد الأمة).

٢٤١ (قنبوا الطرف أيها الفتيان على موقع أمتكم من الأرض تجدونها على أجهل بقعة وأخطر قطعة) (بحيث أصبح من الواجب أن تضطلع لعبتهم وتحفظ الموازنة بينهم).
٢٤٣ (تبذل النكيثة النفس والقوة حتى تصير قوة الجيش في البر إلى تناهيها) (عظيم الإجلاد عظيم التجاليد) فسرهما بالصخم القوي (فإن من الضرورة أن يعتزم المرء على أمر الجندية فيرتاض عليها قبل أن يسكن في نظنها) (عن طيبة نفس وبسطة ذراع).

٢٤٤ (إنه لقسم لو تعنون جهل فينبغي لكل عضو في الأمة أن يؤتي على نفسه ذلك الإيلاء حين ينخرط في سنك الجندية) والإيلاء والانخراط هنا من أبشع الألفاظ ٢٤٥ (الأنشودة التي تردد نأمتها في الفضاء) النأمة النغمة والصوت ويقولون أسكت الله تعالى نأمت أي أماته فالأولى عدم استعمالها في هذا المقام (تغرورق عيناه وتصلطن

شفتاه) وفسر شظاياه بعظام سافه ٢٤٦ (ولا تذهنين إن الوطن أمتك) والأحرى أن يقول أبوك لأن الوطن مؤنث بالفرنسية مذكر بالعربية.

٢٤٧ (كونوا جنداً غلاظاً مستبسين) والجنل شداداً بدل غلاظاً.

٢٤٩ (بشبات قلب ورسوخة وطمانينة) ٢٥٠ (وبعد فقد وجبت على الأمة وراء أن تسعى أقصى مجهودها وراء أن تجعل الوطن على قوة وهبة).

٢٥١ (فكان ذلك مثلاً مرةً استفادت منه حق الاستفادة) (حاجة الأمم الاقتحام على الحروب العادلة فبرهن بحجج عديدة وأمثلة كثيرة على وجوبها).

٢٥٣ (ذلك مثل يجب على كل امرئ أن يحذو حذوه ويتحكت تحككه أيام الفت والمشاغب).

٢٥٤ (والسعي وراء منفعتهم كنا يفعل المرء وراء أن يجعل أمته) ولفظة الورا هنا من استعمالات المولدة المجذلة لا يريد بها من يجب تقديم اللغة إلى الأمام.

٢٥٦ (تسكن وسط أفريقية وجبال آسيا من كان عليه من سكان الأمير كان) (تعدن الشرق الأدنى الذي ناهض تعدن اليونان والرومان زمناً طويلاً على الجهد وامتد من جنوب آسيا وغربها إلى ردم سد حلاليا المصمت ما لا فرجة فيه) ٢٥٧ (فاعترها ما اعترها لما تحك بها تعدن آخر أكثر كمالاً من تعدنها).

٢٥٨ (وكان حب الوطن والإقدام مزدريعين على حد السواء في قلوب الذين ينهضون بأنهم) حنة لم تشم ريح العربية ٢٥٩ (لاسيما قد بينت العناية ذلك التاريخ في هذه الأيام على أحسن بيان) أي أحسن بيان.

٢٦١ (حتى ماتت تلك الأمة الجيدة القوية في الهون) ٢٦٤ (حتى كاد العنصر الأسود في أفريقية وعنصر الزنوج في أمريكا لا يبلان من على الانحطاط).

هذا ما علقناه من هفوات الكتاب وهناك بعض أمور طفيفة لا يكاد يتجو منها كاتب في هذا العصر والعصمة لله وحده بيد أن هذه الهنات لا تقدر في فائدة هذا السفر البديع ولا تحط من مكانته فهو حري بالكبار والصغار أن يقتنوه ويتدارسوه ويتدبروا معانيه ومغازيه. ونشي على حمة صديقنا المعرب الذي أخرج بتعريبه كتاب دومر زكاة فضله في وقت قل فيه جداً من يخرجون زكوات عقولهم كما ندر من يخرجون زكوات أموالهم.

مخطوطات ومطبوعات

الأبطال

تأليف توماس كارليل وتعريب محمد أفندي السباعي وفي ذيله تاريخ الثورة الإنكليزية.

طبع بمطبعة البيان بمصر سنة ١٣٢٩ ص ٢٤٥

مؤلف هذا الكتاب أحد فلامفة إنكلترا في القرن الماضي (المقتبس م ص ٥٧) هو من الرجال الذين اثروا أثراً مهناً في فحضة أمته لسعة عقده وعمله وخصوص نيته وإنسانيته وكتابه هذا اشتهر في المشارق والمغارب ولذلك أحسن للعربية مترجمه بنقله إليها بلغة قل أن نقل كتاب إلى لساننا بما يدانيها فصاحة وبياناً.

وموضوع الكتاب الكلام عن عظماء الرجال فذكر البطل في صورة إله ومثل ذلك بوثية أهل الشمال واعتقادهم بالوهية أودين في الأزمان القديمة ثم البطل في صورة رسول وأورد لذلك سيرة محمد عليه الصلاة والسلام على لصورة لم يكتب لغربي فيما نحسب أن كتب بقوته فجسم سيرته الشريفة في ٤٢ صفحة بعبارات تشف عن إنصاف ليس بعده غاية. قال: لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متدن من أبناء هذا العصر أن يصفى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمد خداع مزور وأن لنا

أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال الخفيفة المخجلة فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتنة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ولو أن الكذب والغش يروحان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس إلا بنه مجانين وما الحياة إلا سخب وعيث وأضلولة كان الأولى بها ألا تخلق.

فوا أسفاه ما أسوأ هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالوناء والمرحمة وبعد فعني ما أراد أن يبالغ مقلد ما في عنوم الكائنات أن لا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء، فإنها نتائج جيل كفر وجحود وإلحاد وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح في حياة الأبدان ولعل العالم لم ير قط رأياً أكفر من هذا والألم وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً وينشره عجباً والله أن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب! فهو إذا لم يكن غنياً بخصائص الخير والجص والتراب وما شكل ذلك فما ذلك أن يبنيه بيت وإنما هو تل من الأنقاض وكثير من أخلاط المواد نعم وليس جدير أص أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائة مليون من الأنفس ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن وإني لأعلم أنه على المرء أن يسير في جميع أمره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تحب طلبته وتعطيه بغيته كذب الله ما يذيعه أولئك الكفار أن زخرفوه حتى خيلوه حقاً وزر باطل وإن زينوه حتى أوهوه صدقاً ومحنة الله ومصاب أن ينخدع الناس شعوباً وأئماً بهذه الأضاليل وتسود الكذبة وتقود بهاتيك الأباطيل وإنما هو كما ذكرت لكم

من قبيل الأوراق المالية المزورة يمتثل لها الكذاب حتى يخرجوها من كفة الأثيمة ويحقيق مصابها بالغير لا به.

وهكذا أخذ المؤلف يورد حالة العرب في الجاهلية وفي الإسلام وكيف قام الرسول وما عنده بعبارات تشف عن روح عالية ولا غزو فهي الفلسفة ومحال أن تنطلي عني فيلسوف عارف مثل هذه الحقائق. ثم ذكر البطل في صورة شاعر واستشهد بداني شاعر الطينان وشاكسبير شاعر الإنكليز ثم ذكر البطل في صورة قيس فذكر لوثير البرنستانية ونوكس البيوريتانية ثم أورد البطل في صورة كاتب ومثل ذلك بجونسون وروسو وبارنز ثم ذكر البطل في صورة منك ومثل لها بكر ومويل ونابليون والثورة الإنكليزية.

كل ذلك نقله العرب كأنك تقرأوه بلغته مع الاحتفاظ بالسلاسة واستشهد أحياناً بأبيات من الشواهد العربية أدمجها بالمناسبات وتكاد الألفاظ غير الفصيحة التي وقع فيها المترجم تعد على الأصابع وهي لما عمت البنوى ولحجب أن تكون مثل كتابة السباعي عارية منه وإن كانت كالوشم في الوجه أو الحال في الخد وذلك مثل قوله ص ٦٢ نوايا والصحيح نيات وفي الحديث إنما الأعمال بالنيات ٦٦ تضحية النفس الأولى المفاداة ٦٨ لأربعين من قرأته من ذوي قرأته ٧٣ النقطة الهامة المهمة وص ٢ أوعرت فيه تلك السبل وأوعشت وقامت فيها القهم والعقبات والموارط والهلكات. . . وأزمت الكروب وتشنعت الخن ٣٩ بعقوبة صارمة والأولى شديدة ٨٤ وأساليب وعوائد الأولى عادات.

وقد صدر الكتاب برسم مؤلفه كارليل وطبع أجود طبع فثنى الثناء الأوفر على معربه ونشره ونسطر شآبيب الرحمة على مؤلفه.

فتح العالم الإسلامي

اعتادت رصيفتنا مجلة العالم الإسلامي الفرنسية أن تصدر الحين بعد الآخر جزءاً كبيراً من أجزائها الشهرية تخصصه بموضوع خاص من الموضوعات التي تحوز عباها وقد نشرت في تشرين الثاني مبحثاً في ٣٢٧ صفحة تحت عنوان فتح البلاد الإسلامية توسعت فيه عمل البعثات الإنجيلية والسكسونية والجرمانية في بلاد الشرق فقدم له صديقنا المسو لشاتليه مدير تلك اللجنة وأستاذ على الاجتماع الإسلامي في كوليج دي فوانس بباريز مقدمة أياها أن الإسلام ينهزم أمام تعاليم تلك المدارس التي يرى بعض القائلين بها أن كثيراً من المسلمين دانوا بالنصرانية لكثرة ما تلقفهم إياها تلك المدارس الإنجيلية ويرى المسو لشاتليه أن المسلمين لا يدينون بدين آخر بل تتزعزع عقائدهم بما يلقونه من الأفكار التي تصحب اللغات الأوروبية وذلك بواسطة اللغة الإنكليزية والألمانية والهولندية والإفرنسية فتجعل تلك البعثات احتكاكاً بين الإسلام والصحافة الأوروبية وتسهل النجاح المادي في العالم الإسلامي وهكذا تصل تلك البعثات إلى العبث بالفكر الديني الذي كان قوته بعزلته. ثم قال أن تقسيم الإسلام (أي بلاد الإسلام) السياسي سيظهر في أتم مظاهره ويسهل أعمال التنديد الأوروبي غنى أن الإسلام يزول سياسياً ولن تكون حاله إلا حال مدينة باقية في وسط التغلب الغربي ولا سبيل إلى نشل الدولة العلية بعد أن ضل أحرار العثمانيين سبيل إنقاذها إلا بتأليف ولايات متحدة إسلامية وإلا فإن تقسيم البلاد لا مناص منه. وبعد أن أفاض في أوضاع جمعيات التبشير وأعمالها العنيفة والخيرية والدينية في بلاد المسلمين وما تعدده من الأسباب للنقضاء على الإسلام قال الناشر في النتيجة: كان يرجى غداة الانقلاب العثماني أن يكون للإسلام دور فمضة اجتماعية ولكن زعماء حزب الاتحاد والترقي

نسوا برنامجهم عندما استلوا زمام الأمر فدعت الغلاط التي ارتكبت في الآستانة وسلافيك وطهران وطوريس إلى أن تعرف أوروبا أن دور السياسة انتهى وجاء دور العمل. إن هذه الكتلة البشرية الموزعة في آسيا وأفريقية من بحار الصين إلى المحيط الأتلانتيكي ستفقد موازنتها التقيدية بزوال الخلافة (والعياذ بالله) عما قريب وانقضاء عرى الممالك المستقلة فماذا يكون والحال هذه مصر المدنية الإسلامية إذا نظرنا إليها بأنها جزء من المجتمعات البشرية وإلى أي وجهة يتجه نشوء الإسلام؟ إننا بما نراه من كثرة انتشار الصحافة الإسلامية ووفرة طرق المواصلات وتأييد الروابط الإسلامية كل ذلك سيزيد في احتكاك الشعوب الإسلامية بعضهم ببعض ولذلك يرجى أن يعظم مركز المسلمين الاقتصادي في ظل الحكومات الأوروبية بفضل السهولة التي تنشأ بينهم من وحدة الأوضاع الاجتماعية في الجملة ومن استعمال لغة أدبية دينية واحدة ولذلك كان عني أتم أوروبا أن تعتمد إلى سياسة التعليم والتربية مع الشرق ومكون صلات مائتي مليون في البلاد الإسلامية بحسب تأثير التربية العقلية التي يربونها.

هذا ما قاله صديقنا عربناه عني ما بعض جمحة فيه وخلاصته أن الحكومات الإسلامية تنقرض والعياذ بالله ولن يبق للمسلمين إلا العمل بالمسائل الاقتصادية أي يكون كالإسرائيليين بدون حكومة تحكمهم. كلام مر ولكن عني رجال الإسلام أن يتدبروه ملياً وفي هذا البحث أسرار مهمة فيما تدخره السياسة الغربية لاكتساح الشرق ونزع دينه وسياسته وعاداته كما بدرت بوادر ذلك الآن باستيلاء فرنسا عني بلاد المغرب الأقصى وإيطاليا عني طرابلس وبرقة وروسيا عني وإنكترا عني نزع استقلال إيران بحيث صح أن نقول أن بلاد الإسلام في صدد حرب صليبية ولكنها غير دينية كحروب القرون الوسطى بل مدنية للنفتح وسلمية بيث الأفكار والتعاليم الغربية.

الريحاني

تأليف أمير أفندي ريحاني الجزء الثاني طبع في المطبعة العننية في بيروت سنة ١٩١٠

ص ٢٣٢

اعتاد صاحب الريحانيات وهو من نوابغ المفكرين في سورية اخذ بحظ وافر من المدنية الغربية وحظ وافر من المدنية الشرقية أن يتحف عالم الأدب الحين بعد الآخر بنفثاته النافعة وأكثر ما في هذا الجزء هو مما كتبه في سورية وأكثر ما في الجزء الأول مما كتبه في الولايات المتحدة الأميركية والجزء الذي امامنا الآن هو مجموعة مقالات وخطب وشعر منشور والشعر المنشور هو كما قال عنه: يدعى هذا النوع من الشعر الجديد بالفرنسية وبالإنكليزية أي الشعر الحر أو بالحرى المطلق وهو آخر ما اتصل إليه الارتقاء الشعري عند الإفرنج وبالأخص عند الأمير كين والإنكليز فنحن وشكسبير أطلقنا الشعر الإنكليزي من قيود القافية وولت ونحن الأمير كي أطلقه من قيود العروض كالأوزان الاصطلاحية والأبحر العرفية. عني أن لهذا الشعر المطلق وزناً جديداً مخصوصاً وقد تجيء القصيدة منه من أبحر عديدة متنوعة. وولت ونحن هو مخترع هذه الطريقة وحامل لوائها وقد انضم تحت اللواء بعد موته كثير من شعراء أوروبا العصريين وفي الولايات المتحدة اليوم جمعيات ونحبة ينضم إليها فريق كبير من الأدباء المعالين بحاسن شعره الجلييلة المتخلفين بأخلاق الديمقراطية المتشبعين بفلسفته الأميركية. إذ أن شعره لا ينحصر مزاياه بقلبه الغريب الجديد فقط بل فيه من الفلسفة والتصور ما هو أغرب وأجد.

ولا نقول في هذا الجزء إلا كما قلنا في الجزء الأول (م ٥٠ ص ٢٢٠) تتدفق حرية الفكر من أطراف ورقة الإحساس منت سطوره وبعد النظر من مراميه ومعانيه وكنه

معان نفسية في قوالب عصرية وروح شغافة في شعور جديد فقد قل في أرباب الأفكار مثل هذا النفس في إصلاح الأفكار والتلطف في بلاغ العقول الجامدة محاسن الحضارة المدهشة والتجديد المفيد.

وقلنا شاهدنا أثر اخط في كتابة كاتب كما شاهدناها في صديقنا الريحاني فكتابته يوم كان في أميركا تذكر ميثاق المدنية الغربية التي لا تعرف إلهاً غير الماديات حتى إذا عاد إلى الفريكة مسقط رأسه في لبنان عاد يحجب العزلة ويتفر من تنك المدنية المادية ولكنه يدعو إلى فك العقول من قيودها والأخذ بما ينفع من مدنية لا تكون شرقية ولا غربية كتلك الشجرة المباركة ولكنه كان في كل موضوع يخوضه يجعل لنحرية المطنقة نسباً وافرأ من أقواله ولذلك نغم عنده أعداء العقل وعيد القيود من المنطعين من رجال الدين وحاربوه حرباً لم يكذبوا به سوري ولكن إخلاصه شفع فيه فلم ينل بأذى وهو اليوم شعلة الذكاء الشرقي في بلاد الغرب وعنوان المهمة العالية أمام المشاركة.

يعلم المؤلف جد العم أن من يصرح بما يصرح به بحارب ويطعن فيه الطعن المبرح في بلاد لم يزل لأوهام المنطعين شدة وعرامة وهم لا يرون إلى النيل منه أكثر من رميه بالإلحاد وإنكار الصانع ولكن من يقول (ص ١٠) إنا للطبيعة وإنا إليها راجعون وشكرت الله شكراً جزيلاً لا يدل على أنه منحده بالمعنى الذي يصورونه بل هو منحده في التقاليد الصارة حر في إفصاحه عن رأيه على أساليب لم يألّفها غير المنورين من سكان هذا الشرق الأقرب.

قال (ص ١٣) إن الفرق بين الأولياء والأطباء قليل لا يستحث الذكر فكم من طبيب فاضل يستحق أن يطوب قديساً أو يدعى ولياً بعد موته فقد تعرفت بفضل آلامي العسية بعدد وافر من هؤلاء الأفاضل وبيان لي بالاختبار ما كنت أجهله. تحققت أن

الفرق بين الطبيب والكاهن كالفرق بين الكاهن والخامى كنهم نفعنا الله بعلمهم وبرهم يعاطون الجريزة. كنهم يتاجرون بشيء من الحقيقة وكثير من الخزعبلات والأوهام عني أن الطبيب أرفع درجة من الكاهن والكاهن أرفع درجة من الخامي.

وصرح في (ص ٢٧ و ٢٩) بعيوب الإكليروس وقاونه لا تجرد الطعن بل للإصلاح لأنه لا يريد أن تظل آدابنا (٤٨) تحت سيطرة المتدينين والمتطعين (ولو قال المتطعين من المتدينين لخص من النوم) وأنفسنا من ربة رجال الدين وإن لم نتجرد من هذا الاستبداد الديني أو بالحري السفسطي كما تجردنا من الاستبداد السياسي تظل آدابنا مبتذلة جامدة خاسنة.

هو يقول (٥١): عني تقريبات رجال الدين وخزعبلات العبادات قام عبد الوهاب في نجد ولوثيروس في وتبورغ وجون نكسن في إنكلترا وغيرهم في البلاد كثيرون فما ضربنا ولا استغينا عن المتكهنين المدلسين وتفتنا من ربتهم واعتصنا بلدين الله وبأنبياء الله ثم قال: إلي أحترم العاطفة الدينية التي تكاد تكون فطرية في الإنسان ولكي لا أجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعهم - وقد قيل هنك المتطعون - ما يساوي ذرة من نفس امرئ راقية.

ومن يقول فكرة هذه الصراحة لا يرمى بالإلحاد والمروق ولكن المؤلف ينحي كثيراً عني رجال الدين في قومه يريد بالقوارص التي يوجهها إصلاحهم ودعوتهم الوطنية لكلا تفرفهم المذاهب (١٣١) فإن عدوا عليه مثل هذه الهذات وربما أتى بعضها من كوها لم يرزق كل حين حظاً من جمال التعبير أو أنه بين ولم يحجم والجمجمة كالتقية لا بأس بها بين القوم المخالفين إذا خشيت الفتنة فقد أتى بحسنات لا ينكرها عليه أشد الناس خطاً من خصومهم قال (ص ٤٥):

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدينتين بين مدينة غازية منتصرة وأخرى مدبرة فعلياً أن لا نخضع على الإطلاق لهذا الفاتح القوي وأن نمسك بما في مدينتنا من الخير الروحي ولا ننجسنا من استبداد هذه المدينة الفاتحة القاهرة وبحفظ لنا حسنات تلك المدبرة سوى الآداب. ولا أريد بالآداب الكتب فقط بل أريد منها آداب النفس أولاً والأخلاق. إن الدين هو أبو مدينة الشرق يرفض بتاتاً مدينة الغرب والعلم المادي هو مدينة الغرب يرفض بتاتاً مدينة الشرق فالدين والعلم في هذا الموقف متغرضان كل لقومه ولا ينفعنا الواحد منهما دون الآخر. وإني لأجد في كل قوى الفكر والنفس وثمارها أصلح وأنجع من الآداب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدينة جديدة قوامها الصنائع والفنون وشعارها الإخاء العام. واعتنوا أن الفنون السامية الجسيمة هي التي تغذى من العلم والدين معاً والأمة التي تجعل مثل هذه الفنون أساس حياتها الاجتماعية تكون ولا غرو مجد المستقبل وأم الأمم. غنى شطوط البحرين وفي أودية الرافدين أحب أن أشاهد مثل هذه المدينة الجامعة بين محاسن المدينتين. أحب أن أرى في قلب العالم جمال روح العالم وكنالها. أحب أن أرى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الأنبياء وثمار العناء غنى شجرة واحدة. أحب أن تزرع بساتين هذه الأرض المقدسة من تلك الشجرة المباركة شجرة لا غربية ولا شرقية.

وقال في التساهل الديني وإنه موجود بين الدول في معاملاتهم إحداهن للأخرى ولكنه غير موجود بين الأوروبيين ومن يدعوهم بالمتوحشين فالدول (١٢٣) لا تتساهل مع هؤلاء المساكين الضعفاء بل تتساهل بعضها مع بعض لأنها تضطر إلى ذلك وليس حياً بالمبدأ الشريف وكثيراً ما نراها تشهر الحروب غنى القبائل الضعيفة وتدعوها حروب الإنجيل وذلك لكي يدين البرابرة بالدين المسيحي كرهاً وجبراً. وهذا هو العصب

الدولي الديني هذي هي الاضطهادات التي تمارسها ضد البرابرة كما تزعم والبرابرة قوم يشعرون وهم يريدون مثناً. هذه هي حروب شارلمان وحروب الملكة حنة الإنكليزية والمنك كارلوس الإفرنسي هذه مذبحه لينة القديس برتناسوس فعوضاً عن حدوثها في باريز وفي القرن السابع عشر تحدث الآن في صحاري أفريقية وفيافي آسيا وتنول السودان وفي أواخر القرن التاسع عشر. يا للعار ويا للشنار! عبثاً يكتب العناء ويندد المصححون ويبحث الفلاسفة عبثاً أتى المسيح إلى الأرض لمثل هؤلاء القوم. وبالجملة فالرهبانية كنها آية في الحرية داعية إلى التساهل الديني محبة بالمدينة المعقولة اخبوبة مقربة بين القنوب جانياً غنى حد قوله الكتب المقدسة تصنع الحياة ولكنها لا تعمر البلاد والعنوم المادية تعمر البلاد ولكنها لا تصنع الحياة إذن كتبكم المقدسة احفظوها وكتب العنم عززوها.

كتب ورسائل مختلفة

تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب للشيخ جمال الدين القاسمي طبعت في مطبعة مدرسة والده عباس الأول بمصر سنة ١٣٢٦ - ١٩٠٨.

رسائل الانتقاد - هي الرسائل التي أحياها بالشر السيد حسن حسني عبد الوهاب نفي مجنة السنة الماضية من المقتبس تأليف عبد الله محمد أبي سعيد بن شرف القيرواني المتوفي سنة ٤٦٠ هـ. طبعت في مطبعة المقتبس في ٢٤ صفحة.

منقى السبيل - رسالة في الوعظ والحكم نشرت في الجزء الماضي من المقتبس بعناية السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي وهي لأبي العلاء المعري وقد علق عليها الناشر حواشي نافعة كنها هي عادته وهي في ١٧ صفحة طبعت بمطبعة المقتبس.

تقرينى وإعرابى لسان عربى صرف قسى - هو كتاب فى صرف اللغة العربية بالتركية
 محمد شاكراً أفندي الحنبلى جعده مع التمارين والإعراب فى ٢١٠ صفحة طبع بمطبعة
 رشادية فى الآستانة ١٣٢٩ هـ - ١٣٢٧ ش.

العقود النؤلوية فى طريق السعادة المولوية - للشيخ عبد الغنى النابلسى طبع على نفقة
 الشيخ محمد سعيد أفندي شيخ تكية المولوية بدمشق فى مطبعة المقتبس سنة ١٣٢٩
 عدد صفحاته ٣٢.

مطول فى إنشاء المكاتب - تأليف أمين أفندي الخورى طبعة عشرة فى مطبعة الاقتصاد
 بيروت سنة ١٩١١ ص ٣٢٠.

قصائد أحمديّة من الميرزا غلام أحمد (المسيح الموعود والمهدي المعهود) طبع على نفقة
 الجمعية الكبرى الأحمديّة بمطبعة الميزكين بقاديان الهند ص ١٥٨.

نسب الصبا فى منظومات الصبا لجرى أفندي شاهين عطية طبع بالمطبعة العشائية
 فى لبنان سنة ١٩٠٤.

جدول فى المنطق لنشاس توما ديو المعنوف طبع بالمطبعة البطريركية الأرثوذكسية
 بدمشق سنة ١٩١١.

اثر حسن - مجموع مرثي الدكتور سنان الخورى الحصى جمعه رزقه الله أفندي
 نعمة الله عبود طبع بالمطبعة الأدبية فى بيروت سنة ١٩٠٤ ص ٢٨٨.

البيان - مجلة دينية عمرانية تاريخية أدبية لمنشئها مصطفى وهيب أفندي البارودي
 وجميل أفندي عبد القادر عدرة فى طرابلس الغرب تصدر مرة فى الشهر فى ٣٢ صفحة
 وقينة اشتراكها فى البلاد العشائية مجدي وربيع وفى الأقطار الأجنبية سبعة فونكات.

أخبار وأفكار

تاريخ بيروت

ألقى الدكتور بورتو مدرس التاريخ في كلية الأمير كان في بيروت محاضرة في تاريخ هذه المدينة فقال:

بيروت إحدى المدن الفينيقية القديمة أنشئت بعد دمشق وأقدم مدن فينيقية صيدا وبيروت وجبل. ونحن لا نعرف بالتحقيق زمن إنشائها ولكن يوسفوس المؤرخ العبراني ذكر اسم رجل فينيقي وقال أن موطنه بيروت وذلك دليل على قدمها. وفي أساطير الأولين أن ابنة إله جيل تزوجت من منك وكان اسمها بيروت فسميت زوجها بيروت باسمها. ونعرف طرفاً من تاريخ بيروت في القرن الخامس عشر قبل المسيح من الآثار المصرية وذلك أن توميس الثالث جرد جيشاً على سورية وامتلكها ولما اشتد ساعد الحثيين والأموريين في الشمال أخذوا يطردون المصريين شيئاً فشيئاً وكان عمال المصريين في سورية يكبون ويستجدون فرعون لإغاثتهم. وقد اكتشف منذ عشرين سنة بعض هذه المكاتب الخفورة على قوالب الآجر ومن جنتها مكتوب من حاكم بيروت إلى فرعون مصر يخبره فيه بحالته مع الحثيين والأموريين وتاريخ المكتوب في القرن الرابع عشر قبل المسيح. ومما يترجح أن بيروت مأخوذة من كلمة (بتر) وأصلها مأخوذة من اللغة الفينيقية لأن لفظ بيروت يقابل جمع كلمة بتر في اللغة الفينيقية. ومما يزيد ذلك عندي أنني لما أتيت إلى هذه البدة منذ أربعين سنة وكان في ذلك الحين لم يجنب ماء نهر الكلب كنت أينما اتجهت أرى آباراً والآب كثير منها ردم فيصح أن يقال أنها سميت بيروت أو مدينة الآبار لكثرة آبارها.

وبيروت كانت منذ القديم عظمة بتجارها ويظن أن مركزها اليوم غير مركزها في العصور الحالية والمرجح أنه كان جنوبي مركزها الآن وذلك عند نهر الغدير وقد

اكتشفت آثار بناء هناك وكما هو معروف أن الشاطئ هناك مرمّل لا يصلح لبناء
ولكن لو نظرنا إلى حالة الفينيقيين البحرية نجد أن سفنهم كانت شراعية صغيرة لا
تستطيع السفر وقت الشتاء وكانوا يخرجونها إلى البر وينقطعون عن الأسفار فذلك
يجب أن يكون الشاطئ رملياً إذ يسهل إخراج المركب إليه. ولما لم تأت نجدة من مصر
سقطت بيروت في أيدي الحثيين ثم جرد رعييس الثاني على سورية حملة حارب
الحثيين فيها فكسروهم وأخذ بيروت ثم اقتسوا البلاد بينهم ولرعييس أثر على
صخر عند مدخل وادي نهر الكنب. وهكذا ظلت البلاد تحت حكم المصريين والحثيين
إلى أن قامت دولة آشور وقد وضع بختنصر (نبوخذ نصر) تاريخ هذه الحملة أيضاً عند
نهر الكنب ويرجع تاريخها إلى القرن التاسع قبل المسيح ولما قامت دولة الفرس أخذت
بيروت كما أخذ أخوتها من مدن سورية ولكنها لم تذكر في التاريخ كما ذكرت صيدا
وغرها. وامتلك بيروت الاسكندر الكبير كما امتلك سائر مدن سورية بدون مقاومة
إلا مدينة عكا. وقد حكم سورية بعد الاسكندر البطالسة وفي سنة ١٩٢ احتل
السنوقيون سورية وفي سنة ١٤٠ قبل المسيح خربت بيروت بسبب حرب أهلية وفي
سنة ٦٤ احتل الرومانيون سورية وكان القائد على حثتهم بومبي. وأضحت بيروت في
أيام أغسطس مستعرة رومانية. والمستعمرات الرومانية كانت تؤسس في إيطاليا
لإسكان العساكر الرومانيين الذين خدموا الرومان خدمة تذكر ولما اتسع منك الرومان
لم يبق أرض لإسكان هؤلاء العساكر فأخذوا يسكنوهم في أملاكهم خارج إيطاليا. ثم
أصبحت بيروت مركز الفيلق الخامس والثامن من الجيش الروماني وعمرت بيروت
على عهد الرومانيين وآثارهم فيها موجودة بكثرة. ولما أتت بيروت رأيت كثيراً من
العنلة القديمة عند إدارة الرسومات وقد ردمت هذه الأعنلة عندما بنيت للبناء

الجديدة ولما قطعوا الطريق الجديدة في بيروت وجد كثير من الآثار الرومانية وقد أسس الرومان في بيروت مدرسة لدراسة الحقوق وسائر العلوم المعروفة في ذلك العصر وبجانب هذه المدرسة أهم مدارس الرومانيين في الشرق وعندما انتشرت المسيحية تنصر كثير من تلامذة هذه المدرسة وكانوا عرضة للاضطهاد وعند ظهور الإسلام احتل المسلمون سورية وخضعت بيروت لهم في خلافة يزيد. وبعد قطرن من خضوعها ظهر في بيروت الإمام الأوزاعي ويقول أبو الفدا أن مولده كان في بعبك ومات قرب بيروت وأظن أن المقام المعروف بالأوزاعي الآن هو قبره ولما تراجعت قوة الأمويين وانتشرت سلطة الفاطميين خضعت بيروت لهم وذلك في خلافة الحاكم بأمر الله مؤسس الديانة الدرزية وكانت بيروت في عهد الصليبيين تختلف بين حكم المسلمين والإفرنج. وخربت بيروت الزلزال سنة ٥٥٠ م سنة ١٥١١ أخذها السلطان سليم العثماني مع باقي مدن سورية ومنذ ذلك الحين لا تزال مدينة عثمانية اهـ.

الزراعة في روسيا

تبين من الإحصاء الأخير الذي وقع في حسين ولاية من ولايات روسيا في أوروبا وعشر ولايات من مملكة بولونيا التابعة لها أن توزيع الأراضي على هذا النحو وذلك بحقياس ألف آكر تسمى مستعمرة الآكر يساوي ٤٠ آراً ٤٦٧١. فظهر أن مملكة روسيا والأسرة المألكة فيها والشركات الزراعية تملك ٤١٧٦١٨ مستعمرة زراعية أو ٣٦ من المئة والمالكين ملكاً خاصاً ٢٧٤٦٥٦ أي ٢٣ في المئة وفي البلاد ٩٢٤٥٦ مستعمرة أو ٨ في المئة غير قابلة للزراعة أو تملك الحكومة والإمبراطور والمدن من مملكة بولونيا ٢١٨٤ مستعمرة أي ٧٤ في المئة وللغلاحيين ١٢٢٣٣ أو ٤١. ٦ في المئة غير صالح للزراعة. ويكون في روسيا أوروبا ٣٤. ٦ في المئة من الأراضي والحقول

و١٦. ٥ من الحدائق أو المروج و٤٠. ٩ غابات و٨ في المئة بور وتبلغ الأرض القابضة
لنزارع في بولونيا ٥٥. ٦ في المئة والحدائق والمروج تكون ١٩ في المئة والغابات ٢١
في المئة من مجموع الراعي والأراضي البائرة ٤. ٤ في المئة فقط. وأهم مزروعات
روسيا الحنطة والجاودار والزوان والشعير والبطاطا والعبف والكتان والقنب والتغ.
ويهتمون بتربية الخيل والبقر والغنم والعتز والخنازير وكان في البلاد الروسية سنة
١٩٠٩ - ٣٢١١٤٠٠٠ حصان و٤٨٤٩١٠٠٠ رأس من الماشية و٨٠٠٠٠٠٠٠
غنم وماعز

القهوة ومحالها

كتبت مجموعة أبو الضيا التركية مقالة في القهوة ومحالها قالت فيها ادعى الدكتور لاند
الألماني أن أول محل للقهوة أنشئ في الآستانة سنة ١٥٥١ كما أنشئ أول محل لها في
إيطاليا سنة ١٦٤٥ وفي إنكلترا سنة ١٦٥٢ وفي فرنسا سنة ١٦٥٩ وفي فرنكفورت
وأم ماين سنة ١٦٧٥ وفي وارسوفيا سنة ١٦٨١ وفي فينا سنة ١٦٨٥ والغالب أن
الكاتب ارتكب هذا الغلط لما عنم من تاريخ انتشار القهوة وذلك أنه جيء بها من
الين على يد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٨ فأخرجت فتوى بإغراق السفن
التي تحملها مع جملتها فأغرقت أمام دار المدفعية (طوبخانة) بالقسطنطينية وقد سرد
كاتب جنبي أسباب ذلك في كتابه ميزان الحق في اختيار الحق ولقد دهغل الدخان إلى
الممالك العثمانية على عهد السلطان أحمد الأول سنة ١٠١٢ وجرى استعماله في
الآستانة سنة ١٠٢٢ واسم محال القهوة سنة ١٠٢٤ في زاوية من زوايا خاليجير
وفي سنة ١٠٤٣ أحرقت في الحريق المشهور جميع محال القهوة وذلك على عهد
السلطان مراد الرابع وعندها صدر الأمر بمنع التدخين وكل من رؤي بأنه شربه أو

خبر عنه بأنه شربه يقتل في الحال وهذه الشدة في المنع اتخذت إذ ذاك حجة سياسية وذلك لن السلطان مراد الرابع أراد أن ينتقم للسلطان العثماني الذي قتله أرباب الفترة من اليكجيرية (الإنكشارية).

فكان على هذه الصورة ينكل ببغاتهم فتوضع على من يراد إعدامه منهم لأنه شرب الدخان علامة فارقة وهي عبارة عن مشعل ينيطونه به يبقى عليه إلى المساء موقداً وقد رأى ذات يوم السلطان مراد في إحدى الساحات رجلاً من الإنكشارية يتقدم إلى آخر من إخوانه مصلوب لأنه شرب الدخان فأخرج غليونه من جيده وشعله من المشعل فعجب الناس من هذه الجرأة ولم يسع ذلك السلطان المستبد إلا أن أصدر أمره على لسان الدلائن يبيح استعمال الدخان كما كان سابقاً والغالب بأن السلطان ظن بأن جرأة هذا الإنكشاري ناتجة عن تحرش بفتنة يدبرها إخوانه. أما استعمال السعوط في الآستانة فكان سنة ١٠٥٠ ومن حسن الطالع أنه لم يشع استعماله قبل سنة ١٠٤٩. وغلا لكان السلطان مراد قضى يجذع أنف من يستعمله جزاءً وفاقاً.

التعليم في روسيا

يرجع أمر معظم المدارس الروسية إلى نظارة المعارف العمومية وقد قست بلاد هذه الإمبراطورية إلى خمس عشرة منطقة من حيث المعارف وهناك عدة مدارس خاصة تشرف عليها بعض النظارات الأخرى كنظارة الزراعة والأشغال وغيرها. وكان عدد الكليات في روسيا سنة ١٩٠٩ تسعاً وهي كليات بطرسبرج، موسكو، خاركوف، كيف، قازان، أودسا، دوربال، تومزسك، وأرسوفيا وقد أغلقت الكلية الأخيرة مؤقتاً ويبلغ عدد تلامذة هذه الكليات المستعین فيها ٣٩٤٩٤. وافتحت كلية جديدة سنة ١٩٠٩ في مدينة ساراتوف. ومنذ ١٩٠٨ أنشئت في موسكو كلية للنشعب أسماها

القائد شاتسكي وانفق عليها من ماله وسماها باسمه في كثير من المدن والخواضر مدارس لتعليم العالي وفي كيف وموسكو وبطرسبرج وقازان مجامع علمية لاهوتية وفي إشبازين من بلاد القوقاز (القافقاس) مدرسة لاهوت للأرمن وفي بطرسبرج مدرسة الكاثوليك. ولكل من بطرسبرج وموسكو وخاركوف مدارس طبية منكية وعسكرية.

ثم أن الجامعات العلمية ومدارس الهندسة والمعادن واللغة والغابات والصناعات النفسية وغيرها كثيرة جداً في المدن الكبرى في المملكة الروسية ولدوقية فنلاند الكبرى كنية خاصة في هينسكفور تضم حجرها سنة ١٩٠٩ - ٢٠٠٠ طالب.

وعدد الطلبة الذين يتعلمون في روسيا مجاًناً أو على نفقة المحسن نحو أربعة آلاف. وعدد المدارس الابتدائية ٩٢٥٠١ منتشرة في طول البلاد وعرضها ونصفها لنظارة المعارف أو لنجع المقدس (سينود) وفيها ١٧٠٨٩٤ أستاذاً ومعناً و٥٧٣٨٢٨٩ تلميذاً وفي روسيا ١٠٨٢٥ مدرسة من كل صنف من أصناف التعليم فيها ٦١٦٤٩١٣ طالباً وتلميذاً ولا يدخل في هذا العدد ١٧١ ٤٠٤ تلميذاً يتعلمون في مدارس خاصة ومع كل ما تبذله الحكومة الروسية في سبل نشر المعارف فإن عدد الأميين من بينها مما يرتعش له فإن ٧٧ في المئة أميون في روسيا أوربا و ٨٧ في سيبيريا و ٩٤ في آسيا الوسطى. وفي الولايات المتقدمة جداً في روسيا مثل ولاية أستونيا لا يتزل عدد الأميين عن ٢٠ في المئة وفي بطرسبرج عن ٤٥ في المئة وفي غير ذلك من الولايات التي تعد راقية لا ينحط عن ٥٠ في المئة.

وقد بنع ما أنفقته نظارة المعارف الروسية سنة ١٩١٠ والنظارات واخضع المقدس على المدارس والتعليم ١١٣. ٥٩٥. ٠٠٢ من الروبالات والروبل فرنكان و٦٦ سنتيناً.

يؤكدون أنه لا يمضي أربعون سنة حتى تأتي المطابع على ما في الولايات المتحدة وكندا من الغابات بما تستفده كل يوم من أشجارها لصنع الورق اللازم للنصحف والكتب ولكن اديسون مخترع التلفون هوّن الأمر على سائل سأل في هذا الشأن رأيه قتلاً أن الورق يعمل إذ ذاك من الفولاذ أو النحاس أو النيكل فيتم الخبز كالورق المعنول من الخشب والحرق البالية اليوم وتكون سماكة واحداً وعشرين ألفاً من القيراط وهي أصلب وألين وأرخص من الورق المعروف.